



TEMPLE
— OF —
ARGOS

مقدمة

في فجرٍ من فجر الزمان، وبين طيات الظلال التي تخفي أسرار العصور الغابرة، ينبثق نورٌ خافتٌ يُعلن عن قدوم رحلة لا مثيل لها. في عالم تسكنه الأرواح المنسية وتتنفسه جدران معابد الأساطير، تنسج خيوط القدر حكايةً تجمع بين الألم والأمل، بين الخيانة والوفاء. هنا، حيث تلتقي جدران السجون القديمة بعيون الحراس الأبدية، وتتمازج روائح العدم مع عبير الذكريات، تبدأ رحلة البحث عن الحرية—رحلة تتحدى حدود الواقع، وتستدعي قلوب الشجعان لاستحضار القوة الخفية المنبثقة من عمق الزمن. فلنكن هذه الصفحات بوابةً لعالمٍ يمزج بين السحر والدم، بين نداء الأرواح وحكايات الفداء، لتذكرنا أن حتى في أحلك الظلمات، يكمن بريقٌ ينتظر من يكتشفه.

الفصل الأول السجينان والصرخة الصامتة

«معبد أرغوس»

كان السجن أشبه بتابوت حجريّ مُعلّق في الفراغ. جدرانه الرطبة تتضح
عفواً أسود، تختلط فيه روائح الدم المتخثر مع عبق اليأس الكثيف .

ضوء وحيد كان شقاً نحيلاً يتسلل من سقف مُتشفق ليلقي ظلالاً متشنجة
على النقوش التي غطت الجدران من أرضية إلى سقف .

رموزٌ غامضة، بعضها يشبه عيوناً تبكي، وأخرى كأيدي ممتدة تطلب
النجدة. حتى الهواء هنا كان ثقيلاً، كأنه يحمل أنين السجناء السابقين الذين
جُففت عظامهم تحت الحجارة .

"أثوبيا"، كان يلهث وهو يُحكّ حجراً صغيراً على معصمه الأيسر، ينحث
رمزاً دائرياً يشبه شعار مدينة مدمّرة. جسده النحيل يرتجف من البرد .

من خلف الحائط الحديدي الفاصل، كانت "جوديث" تُراقبه بعينين تشبهان
جمرتين مُطفأتين. شعرها الأشعث البني يُلامس أكتافها بينما تهمس بنبرة
ساخنة

- "لو كنتَ تتحت شعار مدينتك، فلماذا نسيتَ طريق العودة إليها؟"

رفع أثوبيا رأسه ببطء، عيناه السوداويتان تلمعان في الظلام كحيوان جريح

- أثوبيا (وهو يخفي انفعاله): "لأن شوارع المدينة لا تُبنى بالذاكرة... بل
بالدم"

قبل أن ترد جوديث عليه، ارتجّ السجن كأنه غارق في زلزال .
انهار جزء من السقف فجأة، مطلقاً موجة غبار خانقة من بين الأنقاض،

ظهر تمثال حجري عملاق بوجهين: وجه إنسان يبتسم بفضاعة، ووجه وحش يزمجر بصمت .

الضوء الخارجي انسكب كشلال ذهبي، مثيراً ذكريات غامضة عن سماء مفتوحة في عقليّ السجينين .

- جود (ترحف نحو الفتحة): "هيا! قبل أن ينهار كل شيء!"

- أثوبيا (يُمسك بذراعها): "انتظري... ماذا لو كان فخاً؟"

- جود (تلنتفت بغضب): "أنها فرصتنا انهض يا غبي... أتريد ان تقضي بقية حياتك هنا؟ الفخ الوحيد هو بقاؤنا هنا"

تعنّ أثوبيا وهو يحاول الوقوف، ساقاه ترتجفان كعجوز. لكن جوديث لم تنتظر؛ شدّت ذراعه بقوة مذهلة لشخص بهذا الهزال، ودفعته نحو الأعلى.

لحظتها لاحظ أثوبيا دماءً قديمة على يديها، بعضها يشبه مخالب حيوان مفترس. عندما تسلّقا الأنقاض، انكشف عالمٌ مرعب: "معبد" ضخم مبني من أحجار سوداء مُتألّنة كالفحم المُشتعل. التماثيل هنا ليست مجرد حجارة؛ عيونها تتبع حركاتهما، وأصابعها الممدودة تكاد تلمس أكتافهما .

على الجدران، نقوشٌ تُصوّر معارك بين بشر وأشباح حجرية، وأسفلها كتابات بلغة غريبة تشبه زحف الثعابين .

- أثوبيا (وهو يتلمس): "هذه التماثيل... كأنها تتنفس!"

- جود (تُشعل عود ثقاب): "إنهم "حُراس الحجر". في الليل، يستيقظون ليأتهمون كل من يجرؤ على دخول عالمهم".

رائحة البخور تدغدغ أنوفهما، بينما يسمعان صوت في الأعلى، فيهرعان عبر ممر سري، دخلا إلى أقرب مرر أمامهم حتى انتهى بهم المطاف في غابة

الطريق من المعبد إلى الغابة كان متاهةً من الممرات السرية، تنتهي بباب خفيّ وراء تمثال وحش ذو ثلاث عيون.

عندما وصلا إلى مدخل الغابة، ظهرت "هيلينا" فجأة كشبح. سيفها الخشبي يلمع بضوء أخضر سام، وعيناها الذهبيتان تشعان من تحت غطاء رأس مُطرز بأوراق الزيتون. وقفت أمام شجرة منحوتة برموز تشبه رموز المعبد نفسها، وكأنها حلقة وصل بين العالمين .

- هيلينا (توجه سيفها نحوها وبنبرة حادة): "أتعتقدان أن الهروب سينفذكما؟ اللعنة ليست في النص... بل فيكم أنتم"

- أثوبيا (يتقدم بحذر): "أنت... أنت من حطمت سقف السجن؟ "

- جود (تقاطع أثوبيا): "كيف عرفتي أننا هناك؟ !"

ضحكت هيلينا ضحكة مكتومة، ثم أشارت إلى نقش معصم أثوبيا بسخرية
 "هذا الرمز ليس شعار ثيساليا... إنه "علامة المُختار". الحُرّاس يبحثون
 عنك منذ سقوط المدينة".

- جود (تصرخ): "ثيساليا!!! ماذا تعرفين عن سقوطها؟!"

- هيلينا (تتجاهلها): "النقوش في المعبد ليست مجرد رسومات... إنها
 خريطة لقلب ثيساليا. حكام المعبد سيستخدمونها لتحويل كل البشر إلى
 تماثيل!"

أثوبيا رفع كَمّه فكشف عن عشرات النقوش على ذراعه، كلها نسخٌ مشوّهة
 لرمز "ثيساليا"

- أثوبيا (مرتعشًا): "كنتُ أحاول تذكّر ها... لكن ذاكرتي كانت تُمسح كل
 ليلة!"

بدأت الأجواء تتوتر أكثر وبدأت خيوط الليل تنتثر.

أخذت هيلينا تتحول بهم في الغابة، الأشجار كانت تُصدر أنينًا بشريًا،
 وأغصانها تتشابك كأيدي جائعة

كانت الغابة تُعرف بغابة "أشجار الزيتون"

أشجار زيتون معمرة بجذوع ملتوية كوجوه عجائز حزينة، ضباب أبيض يتخلله أزيز حشرات يشبه صفير التحذير، أوراق تسقط ببطء كساعات رمليّة.

- هيلينا لجوديث وأثوبيا (وهما في الغابة): "هل تعرفا لماذا يُدفن الموتى تحت الأشجار؟"

- أثوبيا: ليحصدوا ثمار الجنة لاحقاً؟

- جود: ربما ليباركوا من هذه الغابة كونها مقدسة في هذه المملكة؟

- هيلينا (تنظر للأعلى): "لا... ليتذكروا كيف كانت جنورهم تخنق الأرض عندما كانوا أحياء"

وضعت هيلينا شرطاً وهو ان يشربا من بركة مياه كشرط لمساعدتهما.

وافقا جود وأثوبيا على شرطها وبدءا يسيرون إلى حيث لا يعلمون واضعين ثقّتهم بهيلينا.

«غابة أشجار الزيتون وبركة العيون الباكية»

تحت ضوء قمرٍ شاحب، أخذت هيلينا خطاها وقررت أن تشرح لأثوبيا وجوديَّ سِرَّ الطريق نحو الخلاص. بدأ على وجهها مزيج من الحزم والسريّة، كأنها تحمل عبء سنوات من الأسرار على عاتقها.

قادتها هيلينا بخطى ثابتة نحو بركة مخفية وسط أحضان الطبيعة. كان الطريق مفروشاً بأوراق الزيتون المتساقطة، وصوت خطواتهما كان يندمج مع أزيز الحشرات الذي يشبه صفير إنذار قديم.

وصلوا أخيراً إلى مكان يبدو كأنه مزيجٌ من الأسطورة والواقع؛ بركة صغيرة، سطحها هادئ يختلط فيه ضوء القمر بوميض من الألوان الخافتة، وكأنها تحوي في جوفها دموعاً لم تجف بعد.

قال أثوبيا مندهشاً:

- ما هذا السائل؟ هل هو ماء؟

أجابت عليه هيلينا، وعيناها تخفيان أسراراً لا يُمكن للبشر فهمها:

- كل قطرة تحمل قصة... قصة دموع من عاشوا قبلنا، لتكون بوابتكما
لاسترجاع ما فقدتماه.

"غابة أشجار الزيتون"

كانت الغابة بمثابة متاهة من أشجار الزيتون العملاقة؛ جذوها الملتوية
تشبه وجوه عجائز حزينات، تقف منتصبه تحت ضباب أبيض خفيف،
يُضفي على المكان هالة من السحر والرهبة. كانت الأوراق تتساقط ببطء،
كأن الزمن يمضي ببطء في هذه الأرض المنسية، وكل خطوة تخطوها
الأقدام كانت تصدح بأصداء الماضي البعيد. هنا، وسط هذا السكون
الغامض، كان لكل شجرة حكاية، ولكل نسمة ريح سرٌّ مدفون.

بعد عبور ممرات متعرجة بين أشجار الزيتون، ظهر أمامهم كوخ صغير
في قلب الغابة. كان مبنياً من خشبٍ قديم، وتكسو جدرانه رخام أسود منقوش
بنقوش تشبه عيوناً مغلقة. داخل الكوخ، كان هناك مذبح مركزي على شكل
يد مفتوحة، تحيط بها شظايا كرة بلورية مكسورة، وعليه آثار دماء جافة
مرسومة بدوائر متحدة المركز.

بجانب هذا المذبح، توجد شجرة عملاقة عُرفت بين سكان الغابة بـ «الوجه المنسي». كان وجه الشجرة منحوتاً في جذعها الضخم، كأنه يرمز إلى ذكرى قديمة، يحق به كل من يقترب، باحثاً عن إجابات لأسرار لم تُرو بعد.

وقفت جوديث وأثوبيا مذهولين، يتبادلان النظرات المليئة بالقلق والتساؤل. فسألت جوديث بصوت مرتجف:

- أين البركة التي تقصدينها؟ لماذا لا نجدها؟

ابتسمت هيلينا بهدوء شديد، ثم أشارت بيدها نحو امرأة كبيرة تقف أمام المذبح، كانت سطحها يعكس ضوء القمر كأنه بحر من النجوم الصغيرة.

هيلينا (بنبرة حادة):

- السر ليس في البركة نفسها، بل في المرأة. قفا أمامها وانظرا إلى أعماق أنفسكما، وستجدان ما تبحثان عنه

ترددت اللحظات قبل أن يجتمع الشجاع على الاقتراب. تمايل قلب أثوبيا بين الخوف والأمل، فخطا خطوة نحو المرأة، بينما بقيت جوديث مترددة خلفه، عيناها تنبضان برعبٍ لا يفارقه.

عندما نظر أثوبيا في المرأة، انهارت أمامه حدود الواقع، فوجد نفسه غارقاً في بركة من الصور والذكريات. بدأ وكأن موجات الماضي تلتف حوله وتحمله بعيداً عن هذه الغابة المظلمة إلى مدينة نيساليا، حيث اختلطت أصوات حراس الحجر والصارفة بأحزان الفراق وذكريات الطفولة التي تمزقت بين أمواج الدموع.

لكن الهدوء الذي غمر أثوبيا لم يدم طويلاً.

فقد بدأت تظهر وجوه شبحية على سطح المرأة، كل واحدة تحكي قصة ألم وحنين مكسور. تصاعدت الأصوات بداخله، حتى تداخلت مع صرخات جوديث التي لم تعد تستطيع كتمان شكوكها

جود (بعصبية):

- ماذا تفعلين به؟ ما هذا السحر الذي تطبّيقينه علينا؟

اندلعت مشادة بين جوديث وهيلينا، فأندفعت جوديث نحو أثوبيا بغضب، مما أدى إلى سقوطه بقوة على أرض الكوخ. ارتفعت الأجساد وصوت الشنائم، والاتهامات تتعالى بين الجدران الضيقة كشرارات نار تشتعل في ظلمة الليل.

وسط الفوضى المتفجرة، لم يكن الصدام الجسدي هو الحدث الوحيد؛ بل كانت الكلمات كالسكاكين تتخلل الصمت.

قالت جوديث بصوتٍ مكسور من الغضب والألم:

- أنتِ يا هيلينا، من تظنين نفسك حتى تنقدينا؟ إن كانت طريقتك هذه هي الحل، فأنا لا أريد مساعدتك!

ردت هيلينا بهدوء جارح، تنظر إلى جوديث بعينيهما اللتين لا تعرفان الرحمة:

- أنا لا أسعى للقبض على قلوبكم، بل لإيقاظها من سبات الذكريات. امنحيني فرصة واحدة لأثبت لكم "أن الألم يحمل في طياته قوة، وأن الخلاص لا يأتي إلا لمن يجروون على مواجهة شياطين الماضي".

خلال هذه اللحظات، كان صوت خرير سيفٍ يخرج من غمد هيلينا، ينثر وهجاً مشعاً يتراقص على جدران الكوخ، مضيئاً بريقاً كالطيف إلى هذه المواجهة. انعكس الضوء على المرأة كقوس قزح، رمزاً لتداخل الأحلام والكوابيس.

بعد هذه الدقائق العصبية التي امتلأت بالصراخ والدموع والضوء المتلاطم، شعر أثنوبيا بخيوط وعيه تعود شيئاً فشيئاً، وسط سؤالٍ مطروحٍ عن حقيقة ما رأى.

نظرت هيلينا إلى جوديث ببرودٍ صارم:

- أمنيحي فرصة واحدة وثقي بي. إنَّ ما فعلته ليس لتدميركم، بل "لإخراج الحقيقة من بين أغلال الأمل".

لكن جوديث، التي لم تستطع أن تُخمد حريق شكوكها، ردَّت بغضبٍ:

- هل تفهمين ما أقوله! إذا كانت هذه مساعدتك لنا، فأنا لا أريدها. لن أدع أحداً يخترق ذاكرتي بما يشبه لعنتكم!

وفي لحظةٍ مشحونة بالمرارة والحرقه، خرج أثوبيا وجوديث من الكوخ معاً، تاركين وراءهما ظلال المكان الغامض وغموض المرأة التي احتفظت بأسرار الماضي. بينما بقيت هيلينا واقفة بين جدران الكوخ، تنظر إلى انعكاسها في المرأة وكأنها تتحدى القدر الذي فرض عليها أن تكون الوسيط بين الأرواح التائهة والذكريات المنسية.

في أعماق الغابة، بينما كان صدى خطواتهما يتلاشى بين أشجار الزيتون العتيقة، استمرت هيلينا في طريقها بمفردها، تحمل بين جوانبها نيران الأمل والحزن، وتتفكر في واجبها الذي لم ينته بعد؛ واجب استرداد ما تهذم من وجدان وبناء جسرٍ جديد بين الماضي والحاضر، حتى وإن كان ثمنه هو أن تُصبح نفسها جزءاً من هذا الغموض الأبدي.

بينما كانت الرياح تعزف ألحانها الخافتة على أوراق الزيتون، اختلطت
أصداء الكلمات والحكايات بين أثوبيا وجوديث. لم تكن خطوات أثوبيا
وجوديث ثابتةً بين أشجار الزيتون العتيقة. الهواء كان ثقیلاً برائحة زيتون
فاسد وتراب مُبلل بدموع البركة.

فجأة، بدأت النقوش على معصم أثوبيا تتوهج بلون أزرق شاحب، كأنها
تتفاعل مع همسات غير مرئية. الألم اخترق ذراعه كسكين متوهج،

أثوبيا (يمسك معصمه مُتألماً):

- هذه النقوش... كأنها تحرق جسدي من الداخل!

جود (تلتفت بقلق):

- ماذا تقول!... لم افهم عليك

قبل أن يتمالكان أنفسهما، انبعث صوتٌ قادم من تحت الأرض... أزيزٌ
عميق كصرخة أرضٍ مجروحة. التماثيل الحجرية بدأت تتحرر من قيودها،
تشقّ التربة بأجسادها المتشققة، عيونها تلمع بضوءٍ بنفسجي شرير.

الحراس لم يكونوا مجرد تماثيل. كل واحدٍ منهم يحمل سمات الضحية التي كأنها: أحدهم بدرعٍ عليه شعار ثيساليا الباهت، وآخر بوجه مشوّه نصفه حجر ونصفه لحم متحجر.

اقتربوا مُشكلين دائرةً حول الثنائي، أصواتهم تتداخل كجرس جنائزي:

حراس الحجر (بصوت جماعي):

- المختار... يجب أن يعود... إلى حيثُ وُلد

جود (تسحب خنجرًا مخفيًا):

- أثوبيا! لا تسمح لتلك النقوش بالسيطرة عليك!

لكن أثوبيا كان غارقًا في الألم، النقوش الزرقاء تزحف نحو عنقه كأفعى سامّة.

فجأة، انهمر ضوءٌ أخضر من بين الأشجار، وهيلينا تظهر فوق جذع شجرة الوجه المنسي، سيفها يشع كقمر مصنوع من زيتون.

هيلينا (بصوت عالٍ):

- الحراس لا يموتون...!

جود (مزجره):

- كل هذا خطتك! أنت من أعاد إحياءهم!

هيلينا (تلتقط أنفاسها):

- الحراس يستيقظون عندما يحاول المختار الهرب من مصيره... وهذه المرة، مصيره مرتبط بثيساليا!

أثوبيا، الذي بدأ يتمالك وعيه، نظر إلى هيلينا بعيون مليئة بالألم:

- ماذا تريد مني أن أفعل؟

هيلينا (تضع يدها على صدره):

- أن تتذكر... الذكريات التي مسحوها... هي مفتاح تحرير المدينة!

بدأت المعركة عندما انقضَّ الحارس القائد تمثال ضخم بستة أذرع نحو هيلينا. سيفها الخشبي اخترق جسده الحجري، مُطلقاً سائلاً أسود كالقطران. الغابة استجابت لهيلينا: جذور الأشجار التفتت حول الحراس، وأوراق الزيتون تحولت إلى شفرات قاطعة.

هيلينا (تصرخ لأثوبيا):

- البركة! اجعل النقوش تلمس الماء!

أثوبيا ركض نحو البركة، بينما جود تقائل حراسًا صغارًا بسكاكينها. عندما غمس معصمه في السائل الأسود، انفجر ضوء أزرق عالي، مُحَرَّرًا موجات طاقة حطمت نصف التماثيل.

الجذور العملاقة انطلقت من الأرض، تحاول ابتلاع الثلاثي، لكن هيلينا قفزت نحو شجرة الأم "الوجه المنسي"، غارقة سيفها في عيناها:
- هذا ليس مصيرنا... أنا آسفة.

بينما تهاوت الشجرة، تحولت الحراس إلى رمادٍ ذهبي، امتصته جذور الغابة.

هيلينا وقفت على حافة الهاوية، جسدها يبدأ بالتشرد وهي تتبدد:

- ذاكرتكم... هي السلاح الوحيد... ابحثوا عن القلب البلوري...

جود وأثوبيا لم يتبق لهما سوى النظر إلى بعضهما، الغابة عادت لهدوئها الوهمي، لكن الأسئلة كانت أثقل من أي وقتٍ مضى.

جود (تُحدِّق في الأفق):

- من نتق به الآن؟

أثوبيا (يفحص معصمه المُهدأ):

- ربما... نتق بالذين دماؤهم في عروقنا.

أشباح نيساليا وأطفال الغابة

"المدن لا تموت... إنها تنتظر من يدفع ثمن إحيائها"

- نقوش على بوابة نيساليا المدمرة

انبثقت هيلينا من الضباب كشبح لم يكتمل، جسدها شفاف يتراقص فيه نور
أخضر كالبرق المُحتضر. بيدها المهتزة رفعت الصندوق الخشبي المنحوت
برموز تُشبه عيون التنين المجنحة: "هذه ليست هدايا... بل ديونٌ عليكم
تسديدها".

جوديث تتراجع خطوةً للوراء:

- كيف نعرف أن هذه ليست لعبة أخرى من ألعاب الحراس؟

أثوبيا يتقدم نحو الصندوق، الخطوط الذهبية على ذراعيه تتوهج كأنها
بوصلة:

- الغابة تُنادي من داخله... أسمع دقات قلب

هيلينا تفتح الصندوق بلمسةٍ من دمها، لينكشف محتواه:

- خنجر زجاجي أسود، وقلادة عظام كل قطعة فيها تحمل وجه طفلٍ متجمد في صرخة.

قالت هيلينا بينما تدرف دمعةً تتحول إلى فراشة زجاجية عند سقوطها.

"هذا الخنجر صُنِع من دموع الشجرة الأخيرة" "والقلادة... هي أرواح الأطفال الذين ضحّت بهم الغابة لإنقاذ نفسها".

الطريق إلى المدينة كان جثّة ممتدة من أشجار ميتة، أغصانها تشبه أيدي غرقى تبحث عن خلاص. الضباب الأسود يتكثف حولهم، يحمل أصوات:

- ضحكات أطفال تُقطع فجأة كأن حنجرتها تُشرط.

- صرير عربات خيلٍ تجرّها ذئاب بلا عيون.

فجأة، تظهر مجموعة ظلال صغيرة تلعب بالجمر. أقربهم ترفع دميتها المحروقة:

- تعالوا نلعب لعبة الاختباء!

جود ترفض بغلظة:

- ليس لدينا وقت لألعاب الأشباح!

الطفلة تذوب في الضباب، ثم تعود محمولة على ظهر عنكبوت عملاق من
رماد:

- من يخسر... يُصبح جزءاً من الطريق!

أثوبيا يرفع الخنجر الزجاجي، الذي يبدأ بامتصاص الضباب:

- انظروا! الصور تظهر!

في سيل الرؤى، يرون:

- والد هيلينا وهو يطعن رجلاً يرتدي زي الحرس الملكي.

- جود طفلةً تهرب من غرفة مليئة بالدماء.

الجدار الأسود المحيط بنيساليا لم يكن حجراً، بل جلدًا متحجراً لكائن
أسطوري. البوابة الرئيسية تنث عند الاقتراب: "ادخلوا... ولكن اتركوا
أحلامكم خارجاً".

الدخول إلى المدينة كان كالغوص في حلم حمى. المشاهد تتغير بلا منطق:

- ميدان السوق يمتلئ بباعة يصرخون بألسنة نار.

- نوافذ المنازل تُفتح وتُغلق كأفواه جائعة.

- رجل عجوز يحمل مصباحًا من جلد بشري يهمس: "ابحثوا عن الغرفة

التي تنام تحت المدينة... هناك تكمن الحقيقة".

بعد ساعات من البحث، يجدون الحائط الذي يخفي الدرج السري. الدرجات

مصنوعة من عظام مكتوب عليها أسماء ضحايا الغزو ولوحة جدارية

غامضة تتغير رؤيتها كلما نظرت إليها من زاوية مختلفة.

اللوحة الجدارية المضيئة لم تكن مجرد رسم، بل كائن حي:

- الغزو: الجنود يتحركون بالفعل، دماؤهم تسيل كزئبق.

- الحراس الخونة: عيون التماثيل تتابعهم بكَراهية.

- الشجرة الأخيرة: الجذور تنمو نحوهم كأفاعي.

فجأة ... يظهر أطفال غربيين الاطوار يحذرانهم:

- عند لمس اللوحة، ستتحولون إلى تمثال شمع, أتريدان أن تُجربا؟!

جود (وهي غير مهتمة لكلامهم):

- هذا ما حدث لأمي... كانت تحاول إيقافهم!

الفصل الثاني خلف أسوار المدينة

«خيانة الأمير»

"الولاء وهمٌ يبيعه الحمقى"

- آخر كلمات القائد كاين قبل أن يتحول إلى تمثال.

في زمنٍ سحيق، بنى البشر أول مدينة حول شجرة، وسموها "ثيساليا"
كلمة تعني "الظل الواقي" في لغة الأسلاف.

لكن القوة جذبت الطامعين. مملكة ألفيرون، التي حكمتها سلالة من السحرة
المُتخالفين مع كائنات الظلام، رأت في شجرة العالم مصدرًا لا ينضب
للطاقة.

في عوالمٍ حيث تتلاشى حدود الحقائق وتختلط خيوط القدر بسحرٍ قديم،
كانت ثيساليا تحت حياة من الأوهام والتشكيك، تحتضن بين جنباتها أسرار
الوعود المظلمة. وفي قلب تلك الأسرار، كان "كاين" قائد الحُرّاس الذي
ظنَّ أنه يحمل بين يديه "مفتاح الخلود" يخطو خطواته على دروبٍ مليئة
بالغموض والخيانة.

التقى كاين بسريةٍ مطلقة مع أمير ثيساليا "أدوارد" في مغارة التنين القديمة
داخل المعبد، حيث كان صدى الأنفاس يختلط بوميض الأساطير. في ذلك
المكان الملعون، حيث تنام الأرواح تحت أنقاض قصصٍ نُسجت قبل قرونٍ
من الدهشة، بدأ القدر يُحدث أولى شقوقه في طريق الوفاء.

كانت المغارة ملاذاً للأسرار والأوهام؛ جدرانها العتيقة تشهد على حكاياتٍ سُطرت بدماء الأسلاف ونيران التنين الذي لم ينطفئ بريقه. دخل كايين إلى أعماق تلك المغارة، وكانت الظلال ترقص على صخورها كما لو كانت تهمس بأسرارٍ لا يفهمها سوى من عاش فيها. وهناك، في زاويةٍ مخفية، ظهر أمير تيساليا "أدوارد" بخطى واثقة، مرتدياً عباءةً فاتمة اللون، وعلى صدره قلادةً غريبة الشكل تتألق في ظلام المغارة.

بصوتٍ هاديٍ لكنه مشحونٍ بالغموض، قال أدوارد:

- هذه هي قلادة عين التنين

وأضاف وهو يمد يده نحو كايين، "حجرٌ أسود ينبض كقلبٍ مسموم.

- هل تعتقد أن له القدرة على تحرير شعبك من ضعف البشرية؟"

لم يكن في عيون كايين سوى بريقٍ من الطموح المُلتهم؛ لقد سُر بفكرة الخلود والقوة المطلقة، حتى وإن ما كانت وسيلته تُباع على حساب الولاء.

في تلك اللحظة، بدأت تتسرب إلى مسمعه همساتٌ غريبة، أصواتٌ لم يكن لها موطن في الوجود، وكأنها نداء من أعماق الظلام يحثه على اقتناء ما يعده المفتاح لتجاوز حدود الطبيعة البشرية.

تلك القلادة لم تكن مجرد قطعة من الحجارة النادرة؛ بل كانت تحمل قوةً شريرةً غامضةً. كان الحجر الأسود ينبض بنبضٍ يشبه دقات قلبٍ حائرٍ، ينبعث منه وهجٌ خافت يلوح بوعدٍ من الخلود، لكنه كان في جوهره سمّاً قاتلاً.

أمسك كايين بالقلادة بيدين مرتجفتين، وكان روحه تردد نداء القدر
وضع أدوار الكلمة الأخيرة قبل أن يغادر:

- إنها ليست سحر ئيساليا، بل هي قوة تتجاوز الحدود، قوة تمنح من يحملها
القدرة على أن يصبح جزءاً من شيء أكبر.

في تلك اللحظة، تبادل الاثنان نظراتٍ مليئةً بالمكر والطموح، ولم يتبقَ في
قلب كايين إلا إيمانٌ جارف بأن هذه القلادة ستجعله خالداً، ستطلق شرارة
الثورة في حُشود الخُراس.

لم يمض وقتٌ طويل قبل أن تبدأ الأصوات بالتردد في أذنيه. كانت تلك
الأصوات كأنها أنين أرواحٍ منسية، تنبثق من ظلال الماضي وتهمس
بأسرارٍ من الخيانة والولاء المزيف.

اجتمع كايين مع حُرّاسه الاثني عشر، ليصبح العدد الإجمالي ثلاث عشرة،
في سردابٍ سري تحت المعبد المهجور. كان السرداب محاطاً بجدرانٍ
قديمةٍ منحوتةٍ بنقوشٍ أسطورية تحكي قصص الفداء والدمار.

وقف كايين في وسطهم، والقلادة تلمع على صدره كما لو كانت تشهد على
عقدٍ أبدي. رفع صوته المرتجف بمزيجٍ من الحماسة والغموض:
- لقد وجدت طريقة تجعلنا خالدين.

ولم يمض لحظة حتى اهتزت القلوب من شدة الدهشة والخوف، إذ أدرك
الحراس أن الثمن قد يكون أعلى مما توقعوا.

ارتفعت الأصوات بين صفوف الحراس، وسأل أحدهم، بصوتٍ مليء
بالرهبة:

- أنت متأكد أن هذا ليس سحرًا ثيسالياً؟

ترددت الكلمات في أرجاء السرداب، كأنها رنين جرسٍ يعلن عن بداية
شقوق في أسس الولاء.

نظر كاين حوله، لكن الإرادة الصارمة لم تترك مجالاً للرد، فظل صمته
يخفي ما في قلبه من تشبثٍ بجنونٍ بفكرة الخلود.

حينما حاول أحد الحراس الاعتراض مجدداً، حدث ما لم يكن في الحسبان؛
فقد أغمض كاين عينيه برزانةٍ، ونفخ من القلادة قطراتٍ من غبارٍ أسود
كالليل. اندفع ذلك الغبار إلى الأجواء، فامتزج بصدى الأصوات حتى أصبح
كأنه عاصفةٌ من السحر المُعتم. وفي لحظةٍ رهيبيةٍ، تلاشى صوت
الاعتراض، إذ تحوّل الحارس المعترض إلى كتلةٍ من الملح، متجمدةً في
لحظةٍ من الألم والصمت.

مع تلاشي صوت الاعتراض، اجتاحت أجواء السرداب رعبٌ لا يُصدق. إذ
بدأ الأمير والحراس الآخرون يشعرون بثقلٍ غريبٍ في قلوبهم، وكأن
أصواتاً من أعماق الأرض تناديهم للانصياع لقدرٍ مُكتوب.

في تلك اللحظة، بدا كاين كأنه يملك القدرة على التحكم في المصير، إذ
بلمسةٍ من القلادة الملعونة، جعل كل من الأمير وحراسه وكل من كان في
السرداب يتحول إلى تمثالٍ ساكنٍ.

لم تكن التحولات فوريةً فقط؛ بل كانت مشهدًا من الرعب المتجدد، حيث كانت الجدران تلتقط صرخات الحراس وتخزنها كأنها نقوشٌ محفورة في الحجر.

تتابعت المشاهد المروعة؛ إذ بدأت تماثيل الحُراس تلمع تحت ضوء القمر، كل تماثيل يحمل وجعٍ روحٍ تحولت إلى صمتٍ أبدي، لتصبح حجارةً تُسجن فيها أرواحهم.

وفي لحظةٍ، تقدم جيش الأمير أدوارد الذي كانوا يحرسون الأجواء بالخارج نحو المعقل، بأجتماع هائل من الجنود المسلحين الذين كانوا يظنون أن هنالك شي ليس على ما يُرام.

ما إن وطأت أقدامهم حدود السرداب حتى وجدوا أنفسهم أمام مشهدٍ فظيع؛ إذ توقف الزمن في تلك اللحظة،

صاح أحد جنود الأمير بصوت عالي:

- أنتم! من تظنون نفسكم فإ...

قبل أن يُكمل جملته تصلبت عيناه فجأة،

حيث تجمد الجنود في أماكنهم كأنهم تماثيل بلا حركة. كان المشهد يُشبه
لعنةً، إذ تحولت صفوف المحاربين إلى جدران صامتة تشهد على خيانةٍ لا
تُغتفر.

تبادل الجنود النظرات بين الدهشة والرعب، فلم يعد في وجوههم سوى مرآةً
تعكس قوة سحرٍ تجاوز حدود العقل، قوة سُلبت منها الحياة وصارت سجنًا
لا يُفلت منه الزمن.

وسط سكون الجنود المتجمدين، انطلقت صرخة مدوية من قلب الفوضى،
صرخة لم يعرفها أحد من قبل، كأنها صرخة من داخل قسوة القدر نفسه.

ركضت الأميرة إيرين نحو كايين، عيناها مملوءة بالدموع والبراءة التي
اختُطفَت من عالمها في لحظة الغدر، وهي تصرخ:

- أين قسمك لحمايتنا؟!!

تلك الكلمات كانت كالسهم الذي يخترق قلب الليل، يحمل بين حروفه لوعًا
لا يُحتمل، فهو استغاثة من قلبٍ كان يؤمن بأن الحماية تعني البقاء معًا في
وجه الخيانة.

وقف كايين، وكانت نظرة فراغٍ باردة تملأ وجهه، وكأنه قد فقد كل إحساسٍ بما كان من قبل.

بصوتٍ جافٍ خالٍ من الحنان، أجاب:

- الحماية الحقيقية هي أن تصبِحِي جزءًا من شيء أكبر.

وفي لحظةٍ من الجنون المتعمد، امتدت يد كايين نحو جبين الأميرة، فقبل أن تلمس بشرتها، بدأ الضوء الداكن من القلادة يبتلعها، وتحولت إلى تمثالٍ من الكريستال الدامي، يلمع بمرارةٍ لا توصف.

لم تكن التماثيل التي خلقها كايين طقسًا عبثيًا فحسب، بل كانت سجنًا أزليًا لأرواح الخُراس والأَمير وزوجته، سجنًا لا يمكن للزمن أن يطفئ بريق معاناته.

كانت حجارة الخيانة تتحرك في صمتٍ قاتم، وفي كل ليلة ماطرة، حين يتسلل الضباب بين الجدران، يُسمع صراخها كأنها أنين الأرواح المحبوسة، صراخٌ يخاطب من يستمع إلى همس الظلام:

- لن ننسى... لن ننسى... ولن يتحرر أحدٌ من قيود الخيانة.

كانت الأصوات مختومة في تلك الصخور، تتحرك ببطء مع صوت المطر،
وئسبح قصصاً تُروى في الليالي الباردة، تُذكر الجميع بأن الولاء الذي يُباع
كالسلة هو في الحقيقة وهمٌ قائم.

وفي خضم تلك اللحظات الأخيرة من سحر الخيانة، وقف كايين بين حصته
المتبقية من البشر – أو ما بقي من الخُراس قبل أن تتحول أرواحهم إلى
حجرٍ أبدي – وهو ينظر إلى الفضاء البارد الذي أصبح ملاذاً لأسراره.

كانت آخر كلماته تتردد في أروقة السرداب كصرخةٍ من الجنون والحيرة:

- لقد ظننت أن الخلود يكمن في أن نصبح أكثر من مجرد بشر، أن نتحد مع
قوة تتجاوز حدود الزمان. لكن ما حصل هو أننا تذبذبنا بين الحياة والموت،
وأصبحنا حجارة... حجارةً تُخلد فيها الخيانة، وتذبل فيها قلوبنا مع كل قطرة
مطرٍ.

كانت هذه الكلمات بمثابة خاتمةٍ حزينةٍ لحكايةٍ بدأت بوعدٍ بالتححرر، وانتهت
بعبور الأرواح إلى عالمٍ من الألم الأبدي، حيث لم يعد للولاء معنى، بل
أصبح مجرد سرابٍ يُروى في الليالي المظلمة.

في تلك اللحظات، أصبحت المرايا المنكسرة التي تزين جدران القصر
شاهدةً على مآسي لم يستطع الزمن أن يمحوها. كل شظيةٍ من تلك المرايا
كانت تعكس وجه كايين المليء بالمكر والخبث، وتروي قصةً عن شخصٍ
فقد إنسانيته في سبيل تحقيق الخلود، وعن أميرٍ خان وعده وطمعٍ لا ينضب
في السلطة.

كانت النظرات التي تلتقي من تلك المرايا تعيد صياغة الأسطورة، لتصبح
مرأة تُظهر لنا أن الولاء الذي يُباع كالسلعة لا يُمكن أن يكون إلا وهمًا، وأن
الخيانة التي تُرتدى كعباءةٍ من المجد، تبقى في النهاية عبئًا ثقیلاً على
القلوب.

ومنذ تلك الليلة المشؤومة، أصبح السرداب ملاذًا للأرواح المسجونة، تلك
التي تحولت إلى تماثيلٍ تحمل قصص خيانيةٍ وألمًا خالدًا.

في كل ليلة ماطرة، تسابت قطرات المطر على جدران السرداب كأنها
دموعٌ ندمٍ لا تنضب، تُثير صرخاتٍ مكتومةً من أعماق الحجر.

يمكن لمن يقترب في ساعات الليل أن يسمع صدى تلك الأصوات
المكسورة، كأنها ترانيمٌ أسطورية تُخبر عن وعدٍ لم يتحقق وعن نداءٍ من
الماضي ينادي بالحرية التي لم تُمنح.

كان الصمت الذي يخيم على المكان شاهداً على أن الأرواح التي سُلبت منها
الحياة أصبحت جزءاً من حجرٍ لا يتحرك، تُحكم فيها قوة الخيانة التي لا
تُحى مهما مرّ الزمن.

«معركة الكسوف الدامي»

بعد مرور مدة من الزمن

كان الليل في تلك الليلة يحمل همساتٍ مخيفة، إذ اجتمعت السماوات لتغطي
ثيساليا بحجابٍ من الظلال والغيوم الداكنة. قيل أن تخترق أنوار الفجر
الأفق، بدا الكون وكأنه يستعد لحدثٍ لم يُر مثله من قبل.

في أرجاء المدينة، سادت حالة من الترقب والارتعاش؛ فقد بدأ النهار
يُنسحب ببطء خلف ستارٍ من السواد، وبدأت النجوم الزرقاء تتلاشى واحدة
تلو الأخرى تحت وطأة الكسوف الذي كان يقترب بخطى ثابتة.

على أسوار معبد أرغوس العتيق، كان الحارس الشاب يقف مترقبًا. شعرَ
قلبه ينبض بخوفٍ مختلطٍ بالأمل، إذ كانت أنفاس الليل تحمل معه نبرةً من
الوعد واللعنة في آن واحد. في تلك اللحظات الحرجة، تسربت البرودة إلى
عظامه، فتردد صوته بخجلٍ متللم وهو ينادي رفيقته التي كانت تقف
بجانبه:

- ألا تشعرين بأن هنالك موجة هواء باردة قوية؟

بينما كانت الموجة تخترق دروعهما الرقيقة

أجابت:

- مجرد عاصفة قادمة من الجبال

لكن الرياح كانت تحمل شيئاً آخر، شيئاً خفياً تنبأت به الأساطير القديمة، حيث تُحكى قصة لصافرةٍ من الظلام "أداةٌ أسطورية لم يعرفها أحد إلا في أحلام الملوك والوحوش القديمة".

مع حلول وقت الكسوف، بدأت السماء تتغير لونها شيئاً فشيئاً؛ من زرقةٍ هادئة إلى رماديةٍ فاتمة، كأنها تنزف بألوانها قبل أن تعانق العتمة. وفي هذا المساء المشؤوم، بدأت الأرض وكأنها تنتهي قصةً تُروى عبر القرون، قصةٌ تحمل بين طياتها شرارة فاجعة لا مفر منها.

في قلب المملكة، وعلى مساحات المعبد الواسعة، بدأ الجنود المتخفين من بين الظلال بالتحرك ببطء وكأنهم أشباح تخرج من عوالمٍ أخرى. تسللت جحافل المملكة عبر اساطيلهم، كانت خطواتهم مرتبةً كأنها رقصة موتٍ قديمة، وفي عيونهم بريقٌ من العزم المظلم لا يعرف الرحمة. وفي خفاء هذه التحركات، بدأت الطبيعة تتلوى في وجوه الزمن؛ فقد انحنى النسيم وتراشق الأوراق كما لو كانت تخشى أن تُبلغ عن اقتراب المصير المحتوم.

مع اقتراب ذروة الكسوف، بدأ الليل يتمازج مع البدر في رقصةٍ مهيبية، حتى بدا أن القمر نفسه خجل من البروز. كان الجو مشبعاً برائحةٍ غريبة، رائحة الأرض الرطبة. وفي تلك اللحظات الحرجة، ارتفعت أصوات الرياح لتصبح كأنها مرثيةٌ تتغنى بها الطبيعة لوحدها.

في قلب هذا المسرح السماوي، حيث كانت كل الكائنات تتوقف لتشاهد العرض الأخير للطبيعة، بدأ الجنرال فولكار بالتحرك. كان وجهه متصلباً ببرودةٍ لم تشهدها المملكة من قبل، ويده التي تحمل صافرة الظلام المنحوتة من قرن وحشٍ منقرض، بدأت الصافرة تشع ضوءاً قاتمًا في عمق الظلام. عينا فولكار كانتا كمرأتين تعكسان جحيمًا داخليًا، وكأنهما تخبران الجميع بأن هذه الليلة ستكون جحيمًا جزاء خيانتهم للمملكة

حينما رفع فولكار الصافرة إلى شفثيه، ساد صمتٌ مرعب. كان الصمت أشبه بوعدٍ للموت، يعلن أن كل شيء سينتهي، وأن الدماء ستنسب كما لو كانت تُكتب على جدران المدينة. وفي لحظةٍ خاطفة، نفخ الجنرال في الصافرة؛ فاندفعت الأصوات القائمة كأموحٍ من الظلام عبر المكان، متسللةً إلى كل زاوية وكل قلبٍ ينبض.

مع أول نفخة من الصافرة، بدأ الهواء يتزاحم بحكاياتٍ لم تُرو، وكأنما أصوات الأسلاف تصرخ في صمتٍ مرعب. انقسمت اللحظات إلى أجزاءٍ لا تُحصى؛ فقد بدأ الجنود بالظهور من خلف جدران المعبد وكأنهم قادمون من أعماق الأحلام المظلمة. كانوا حاملين راياتهم ودروعهم كانت سوداء تلتمع تحت أضواء القمر الخافتة، تحمل في تفاصيلها نقوشاً لا يفهمها سوى من كان قلبه متعلقاً بالأساطير القديمة.

كانت الأصوات تتعالى في آنٍ واحد، وبدأت الأصوات البشرية تختلط بأنغام الرياح المدوية، فصار الليل معزوفةً كونيةً من الصراخ والأنين. وفي تلك اللحظة الحرجة، بدأت المشاهد تتبدل أمام أعين الشاهدين؛ فقد بدأ الجنود يتقدمون بخطى ثابتة كأنهم نسحُ من الموت نفسه، وكان فولكار يقودهم بنظرةٍ لا تعرف الرحمة.

ومع كل نفخةٍ من الصافرة، كانت العواطف تتفتت، والألوان تتلاشى، والوجوه التي كانت تنبض بالحياة تتحول تدريجيًا إلى قوالب صامتةٍ من الرعب. لم يعد هناك مكانٌ للرحمة؛ فقد بلغ الليل ذروته وأصبح ساحة معركةٍ لا رحمة فيها، حيث تُسطر أقدار الأبطال والضعفاء بنفس الحبر الأسود الذي يملأ السماء.

أولى لحظات الفوضى، ما إن ارتسمت أولى نفخات الصافرة الأسطورية في أرجاء المعبد حتى بدأ الظلام يشق طريقه في كل زاوية. لقد تحول الصوت إلى طيفٍ ملموس، كأنه موجةٌ قاتلة تتخلل الأرجاء، تهزّ الأرواح وتفطر الجسد. في تلك اللحظة، أصبح الهدوء الذي كان يخيم على أسوار المعبد مجرد وهم بعيد، واستبدلته صرخات الرعب وأزيز الشر الذي لم يكن له مثيل.

على مدرج المعبد الكبير، اجتمعت مجموعة من الحراس الذين قضوا حياتهم في حماية هذا الصرح المقدس. وما لبثت أعينهم أن رأَت تحولاً مرعباً؛ فقد بدأت الوجوه تتشوه تحت وطأة الصوت، تلتئم ملامحها في تعابير مؤلمة، ثم تبرد وتصبح كتماثيل حجرية متجمدة في قسوة اللحظة. كأنهم كانوا يشاهدون حلمٍ مروّع، حيث انحرفت قوانين الطبيعة، وصارت الأصوات تتداخل مع صرخات الألم.

تقدّم أحد القادة، الحارس المخضرم الذي عرف المعبد منذ نشأته، بخطى متثاقلة نحو مركز الساحة، وهو يحاول أن يستجمع شجاعته رغم أن جسده بدأ يتردد بين حالتي الحياة والموت. وبينما كان يتقدم، انبعث من جوفه همهمة منخفضة تكاد تكسوها نبرة التوسل والصدمة:

- يا إلهي... ما هذا السحر الذي يمزق أنفاسنا؟

كان صوته يرتجف مع كل خطوة، وكأن كل نبضة من قلبه تنذر بقدم النهاية.

لم يكن الصوت وحده ما تسبب في الدمار؛ بل إنه كان مفتاحاً لمجموعة من الظواهر الخارقة التي اجتاحت المعبد. بدأت جدران الحجر تنزف لونها الأصفر، ثم تحوّل لونها تدريجياً إلى البرتقالي الباهت.

وفي قلب هذا الفوضى، كان الجنرال فولكار يقف شامخاً كمن ينحت بمقبضه مصير العالم. كانت عيناه تلمعان بوهجٍ قائم، وكان صوت أنفاسه يتماوج مع نغمات الصافرة، تعمق تأثير الصافرة في كل زاوية من المعبد؛ فبجانِب أن تحول الملامح إلى قوالب جامدة، بدأت الزخارف والنقوش التي زينت الأعمدة تتلاشى تدريجياً، وكأنها تعاني من فقدان الروح. كانت تلك النقوش التي روت قصص الآلهة والبطولة تصبح الآن مجرد خطوط باهتة على جدارٍ من صمتٍ رهيب. ورغم كل ذلك، كان هناك بريقٌ غريبٌ في عيون من لا يزالون يقاومون، وكأنهم يحاولون استرجاع شذرات ما تبقى من النور داخلهم.

بينما كانت الضوضاء تزداد شراسةً، كان بعض الكهنة يحاولون إنشاد صلواتٍ لأستنهاض قواهم المتبقية. لكن حتى هذه الأصوات المقدسة لم تستطع مجابهة قوة الصافرة؛ كانت تجعل من كل كلمة طقساً أسوداً يخترق الروح. في تلك اللحظات، تداخلت أصوات الترنيمة مع هدير الرياح، لتخلق سيمفونيةً من الألم تُعيد للزمن بريقه الكئيب.

كانت الدموع تنساب على وجوه بعض الحراس، لكن تلك الدموع لم تكن ماءً بل تحولت إلى قطرات من رمادٍ معدني، تنسكب على الأرض لتتشكل طبقةً شاحبةً تغطي كل شيء. بدا أن الطبيعة نفسها قد استسلمت لظلام

الصارفة، فالأشجار التي كانت تلوح في الأفق بحيويتها انكسرت ركبها،
وامتلأت الأرض بصمتٍ قاسٍ كأنها مشهد من كابوسٍ أبدي.

وسط هذه الفوضى الساحرة، كان الجنود يقفون في صفوفٍ مشوشة، لا
يعرفون ما إذا كان عليهم الهرب أم المواجهة. كانت ملامحهم تتغير، تتبدد
الحياة في عيونهم مع كل نفخةٍ من الصارفة، في حين كان البعض الآخر
يحاول بشراسة الاستمرار في القتال رغم الألم الذي اجتاح أجسادهم. كان
الدم يسيل من جروحهم كالأنهار الحمراء، تختلط مع الغبار المعدني الذي
اجتاح المكان.

وفي المعبد ذاته، بدأ صوت الصارفة يأخذ منحىً أكثر قسوة؛ فقد تحول إلى
هارمونيّةٍ مخيفةٍ تُحدث دويًا في الفضاء، تُحرك ما هو متجمد وتعيد إليه
نبض الموت البارد. كلما مرّت هذه النغمات فوق أحدهم، بدأت خطوط
الزمن تتلاشى، فتظهر صورٌ من الماضي المظلم للمعبد، معارك قديمة
وانتصاراتٍ بائسة،

على أطراف المعبد، حيث حاولت بعض الكائنات الحية أن تجد مأوى من
العاصفة المظلمة، تلتقي نظرات أخيرة بين المصلين والكهنة. كانت تلك
الوجوه تروي قصصًا من الألم والندم، حكايات لم تكتب نهايات سعيدة. وفي
إحدى الزوايا، كان أحد الشيوخ يقف عاجزًا عن الحركة، وقد بانّت ملامحه

علامات الخنوع والتسليم للموت. رفع يده المرتجفة إلى السماء، وكأنما يبحث عن بصيصٍ من الرحمة في عالمٍ أصبح فيه كل شيء بلا حياة.

- أيها الإله الذي نسيتنا، هل لك أن تعيد لنا ضوء الشمس؟

سأل الشيخ بصوتٍ ضعيف، لكن لا ردّ جاء من الأعلى، فقط الصمت الذي عمّ المكان زاد من وقع المأساة. ما لبثت هذه اللحظات أن تحولت إلى معركة مفتوحة على مصراعيها، حيث انفجرت موجةٌ من الجنود المتعطشين للدمار من أعماق المعبد. كانت صفوفهم مرتبة بإحكامٍ مخيف، وكلما تقدّموا خطوة نحو الداخل، زادت الأصوات المدمرة التي تنبعث من صوافير فولكار جلاءً. لم يعد هناك مجال للتراجع؛ فقد أثبتت قوة الصافرة أنها تتغلب على كل مقاومة، وسط هذا الاندفاع الهائل، تحولت ساحات العبادة إلى مسرحٍ لحرب لا رحمة فيها. اشتبكت السيوف مع أصوات الآلات الحربية القديمة، وارتطمت الدروع بصدى أنين الجنود. كانت لحظةً تلقني فيها القدرات الخارقة مع القوة البشرية في مزيجٍ لا يُصدّق، حيث سادت فوضى مشتعلة، وأصبح كل جدار وكل حجر يشهد على معركةٍ سنظل محفورةً في ذاكرة الأجيال. أمام مدخل قاعة الصلاة الكبرى، تجمعت فرقة من الكهنة الذين حاولوا بالأدعية استدعاء الأرواح الحارسة للسماء. كانت أصواتهم تتعالى في مزيجٍ من اليأس والإيمان، لكن كلما حاولوا رفع أيديهم نحو السماء، سُحبت تلك الأصوات إلى دوامة من الصمت المميت.

وسرعان ما بدأ الكهنة يشعرون بأن كلماتهم قد فقدت وزنها أمام عاصفة السحر الذي اجتاح المعبد. لم يكن الجميع داخل المعبد يعانون من نفس القدر من الرعب؛ فبعضهم حاول الهرب والفرار، بينما غاص آخرون في قلب المعركة أملاً في إيقاف هذا السحر المظلم. في أحد أروقة المعبد الضيقة، انطلقت صرخات مجموعة من المراهقين الذين كانوا يتعلمون أسرار الدفاع عن النفس، وهم يركضون في اتجاه غير واضح وسط الأنقاض، يتركون وراءهم أثار أحلام مكسورة وآمال ضائعة.

وفي زاوية أخرى، كان النساء يحتضن أطفالهن بمحاولاتٍ بائسةٍ لحمايتهم من هذه الكارثة، بينما كانت عيونهن تملؤها دموعٌ تختلط بالخوف والرغبة في النجاة. كل تلك اللحظات كانت بمثابة لوحاتٍ مؤلمة تُرسم بألوان الحزن والأسى، وتُخلد في ذاكرة المكان كعلاماتٍ لا تُمحى.

بينما كان الجنرال فولكار يُتابع سير معركته بعينين لا تعرفان الرحمة، كان يتلقى تقاريرٍ موجزة من ضباطه حول تقدم قواته داخل المعبد. كان صوت أحد الضباط يرتفع فوق ضوضاء المعركة:

- يا سيدي، لقد تمكنت قواتنا من اقتحام القاعة الشرقية. لا يوجد أمامنا سوى الدمار.

أوماً فولكار بموافقة باردة، وأعاد توجيه أمره بصوتٍ مخنوقٍ بثقةٍ قاتلة:

- دعوا العيش للضعفاء. لن يوقفنا شيء

تلك الكلمات حملت معنىً مريزاً؛ فكان فولكار لا يفرق بين البريء والخائن، بين القوي والضعيف، بل كان يرى في كل من يقف أمامه عقبةً يجب تحطيمها. وفي تلك اللحظات، بدا أن الكون بأسره قد انحنى تحت وطأة قوته، وأن الطبيعة قد استسلمت لشره الذي لا يُقهر.

على مشارف القاعة الكبرى، جلست امرأة مسنة على ركامٍ من الحطام، تُحدّق في السماء وكأنها تحاول أن تجد بقايا نورٍ ما. كانت ملامحها تحكي قصة حياةٍ طويلة من الألم والفقد، ولكنها لم تفقد بريق الإيمان رغم كل ما حل بها. همست بصوتٍ خافت:

- ستعود الشمس يوماً... وستنقشُ قصةً هذه الليلة على جبين التاريخ، كذكرى لا تُمحي.

كلماتها كانت بمثابة مرثيةٍ لعمود البشرية، تتحدى حتى أقسى لحظات الدمار والظلام.

وبينما استمرت فوضى المعركة في التوسع داخل المعبد، بدا أن القوى الخارقة التي أحدثتها الصافرة لم تكفِ بتحويل الأجساد إلى قوالب جامدة فحسب، بل بدأت تُغيّر مسار الزمن نفسه. فتلك اللحظات التي كان يُعتقد فيها أن الزمن قد توقف، بدأت الآن تُظهر شقوقاً في نسيجها، وكأنها بوابةٌ لعالمٍ آخر.

في تلك اللحظات، اندمجت أصوات الصافرة مع أصوات الرعد، وبدأت السماء تُفتح، فتسيل أمطاراً غربية من قطراتٍ معدنية. كانت تلك الأمطار بمثابة لعنةٍ من عالمٍ آخر، تحمل بين قطراتها ذكرى دماء الماضي وحسرات المستقبل. وفي وسط تلك المعركة التي تجاوزت حدود الواقع والخيال، تجلت قوة الإرادة البشرية في محاولةٍ بانسةٍ لرفض الاستسلام للقدر.

كان الجنرال فولكار، وهو يقف وسط الدمار الذي خلفته نغمات الصافرة، ينظر إلى ما حوله بنظرةٍ تحمل في ثناياها تداخلات من الجنون. في أعماق قلبه، كانت هناك ذرّةٌ من الشك، سؤالٌ صامتٌ يتساءل: هل سيكون هذا هو الثمن الذي يدفعه العالم مقابل مقتل الأمير وخيانة المملكة؟

داخل أعماق المعبد، كان الصراع يتخذ أشكالاً لا يمكن تصورها؛ فقد تجمعت صفوف الحراس المدافعين عن معبد أرغوس، الذين تشكّلوا من رجالٍ ونساءٍ وأطفالٍ مدججين بالإيمان والصمود. لكن قوتهم لم تكن كافية لتصدى الغزاة الذين جاؤوا من كل الجهات.

على إحدى الجبهات، ارتفعت صرخات محاربين كانوا يقاتلون حتى فقدانهم للوعي، وصارت كل ضربة سيف وكل لغم من المدافع نبراساً لإرادتهم التي لا تلين. كان الجنود يتبادلون النظرات كأنهم يعلمون أن حياتهم قد تُختزل في بضع ثوانٍ من الشجاعة الباهرة أو في لحظاتٍ من الذبول العميق. وفي تلك اللحظات، كان الجنرال فولكار يشاهد من بعيد، عيناه تتأملان الميدان وكأنهما تقتنصان كل تفاصيل معركة الأرواح والأقدار. بجانب اشتباكات الجيوش، كانت قوى السحر تعصف بكل ما يقف في طريقها. فقد اندفعت نسائم من الطاقة السوداء لتلتف حول الجنود وتلتهم كل شيء في مسارها، مما جعل السماء تزداد ازدحاماً بنجومٍ متلاشيةٍ وغيومٍ تتوهج بألوانٍ قاتمة.

كانت الطاقات تتنازع على من يحكم مجرى المعركة؛ فبعض الكهنة استخدموا طلاسماً قديمة لاستحضار حماة من عالمٍ آخر، بينما تواجعت الجنود في معاركٍ فرديةٍ مع كائناتٍ سحريةٍ خرجت من أعماق الأساطير.

وفي إحدى اللحظات التي بدت وكأنها معقّدة في الفضاء الزمني، اجتمعت قوى الطبيعة والإنسان في مشهدٍ درامي؛ فقد بدأت الأمطار المعدنية تتساقط بغزارة، مخلفةً وراءها طبقةً من الغبار الثقيل الذي غطى كل شيء. ومع كل قطرةٍ تتساقط، كان يُذكر الجميع بأن الحياة مهما اشتدت عليها الألام فإنها لا تزال تقاوم تحت وطأة العواصف المدمرة.

مع مرور الوقت، تزايد التوتر وكأن الطبيعة نفسها كانت تستعد لمواجهة نهائية. بدأ الميدان يهتز من قوة الهجمات المتبادلة؛ فقد انقسمت القوات إلى أجزاءٍ متشتتةٍ، في صراعٍ دائمٍ بين من يسعى للنجاة ومن يواجه المصير المحتوم. في هذا الجو المشحون،

كان الجنرال فولكار يتقدم بخطواتٍ حاسمةٍ وسط ركاب الموت والدمار، يوجه ضباطه بكلماتٍ تُفصل بين الأحياء والأموات:

- لا تترددوا، إنكم اليوم تسطرون تاريخاً لا يُنسى. لن تكون رحمتكم إلا جهنماً لمن يقف في طريقنا!

كانت كلماته الجليدة تعكس تصميمه الصارم، رغم أن الظلال الذي خيم على ملامحه كانت تُظهر لمحات من العزلة الداخلية.

تداخلت النداءات والصرخات مع زئير العواصف، وبدأت الحدود بين البطل والضحية تتلاشى في خضم المعركة. كان هناك من وقف في وجه السيف والسهام، وكان هناك من سقط دون مقاومة، وكلهم أصبحوا جزءاً من ملحمةٍ تُكتب بأنفاسٍ مرت على شفاههم وفي دموع الأرض التي ارتوت بدمائهم.

مع تزايد قوة الصافرة وتأثيرها، بدأ الزمن يبدو وكأنه يتلاشى بين ثنايا المعركة. في إحدى اللحظات، توقفت الحركة كما لو أن اللحظة قد تجمدت؛ انتظر الجنود للحظة واحدة لمست فيها الأرواح حنين الزمن القديم.

في تلك اللحظة، ظهر كايين وقد رآه الموت يتقدم بخطى ثابتة نحو معبده. كانت عيناه تعكسان خائفاً، لكن عزيمته لم تخب. بحركات يائسة، أمسك بسيفه القديم الذي ورثه عن والده، وحاول أن ينادي:

- لا تفقدوا الأمل! هناك من يقاوم هذا السحر، يجب أن نثبت أننا لم ننكسر!

لكن صوته الخافت طاح في بحر الفوضى الذي اجتاح المكان، وكل كلمة قالها كانت تموت قبل أن تجد أذناً تسمعها.

بينما كان الجنار يدير عينيه فوق الدمار الذي خلفته نفحات الصافرة، صاح بصوت عالي جداً

-انتهى أمركم ، الأرض لم تعد أرضكم

على جبهة المعركة، كان الجنود يسترجعون ذكرياتهم في لحظات هادئة بين ضجيج الصراخ وانفجارات السحر؛ فقد تذكروا وعوداً قُطعت لهم قبل أن يخوضوا غمار هذه المعركة الكونية.

كل نظرةٍ عابرة، وكل همسةٍ خافتة كانت تحكي قصة شخصٍ تحدى الموت بملامحه، ليترك بصمةً في سجل التاريخ مهما بلغت قسوة الظروف.

مع استمرار المعركة، بدأت تتشكل نقاط تحول حاسمة في سير الأحداث. ففي إحدى اللحظات، اندلعت مقاومة شرسة على جبهة صغيرة كان من المفترض أن تكون محمية تمامًا، فقام محاربٌ نادر الشجاعة بتنظيم صفوف زملائه في مواجهة قافلةٍ من الجنود المتقدمين. كان ذلك المشهد بمثابة مذبحه بطولية؛ إذ استطاع هؤلاء القلة أن يوقفوا هجومًا محمومًا رغم قلة عددهم، مما أعطى للحراس فترةً قصيرة لإعادة التنظيم.

في تلك اللحظة، تغير مجرى المعركة؛ إذ بدأت شقوقٌ في صفوف العدو تظهر نتيجة لإرادة لا تلين وإصرار مستعصي. كانت ضحكاتهم تتردد في أرجاء المعبد مع كل نجاح صغير، وكأن كل انتصار كان بمثابة خطوة نحو استعادة بعض من بريق الحياة الذي فقدته تلك الليلة. ومع ذلك، كان الثمن باهظًا؛ فقد دُفع الدم في مواقعٍ لا يُحصى عددها، وترسخت أثارها في قلوب المحاربين الذين تحولوا من أبطال إلى شهود على فاجعةٍ لم تكن لئنسى. وقفوا الكهنة فجأة كأنهم نسوا العنف الذي شاركوا فيه للحظة، فارتفعت أصوات الدعاء والنداء، تعبيراً عن رغبة في أن يعود النور رغم غمرهم بالظلام. انقلب الليل إلى فجرٍ أحمرٍ كالدم، وما زالت السماء تتوهج بألوانٍ قاتمةٍ تعكس وجوه المأساة التي ابتليت بها المدينة. لم يكن فجر هذا اليوم عادياً؛ بل كانت تخترق أشعة الشمس الخجولة السحب السوداء، وتتناثر قطرات الندى المختلطة بالدماء على الشوارع المدمرة.

لم يدم الظلام طويلاً قبل أن يظهر فولكار، الجنرال الذي جعل من ظلمه أسلوب حياة ومن فظاعته منارةً تُضيء دروب الخونة. كانت "رجسائته" تكمن في عودته إلى المدينة،

حيث انطلق على جواده الأسود كمن يحكم على مصير الجميع. مرت خطواته على طرقات المدينة المدمرة وكأنها خطوات عقابٍ إلهي ينشر الهموم ويزرع الرعب في قلوب كل من تجرأ على النظر. بعيونه التي تلمع بوحشيةٍ لا تعرف الرحمة، وبصوته الذي كان يصدح بأوامرٍ من سكينه الفناء، بدأ فولكار في تنفيذ خطة الانتقام الشامل. كان هدفه واحداً: القضاء على كل من تعاون مع المعبد، وكل من اعتبر نفسه من النُجاليين أو الخونة.

في طريقه إلى قلب المدينة، قُطعت الأفئدة وأسفكت الأرواح دون رحمة، حيث لم يترك فولكار مجالاً للشفقة أو للتساهل.

وفي أعماق صوته الممزق بين ضجيج الإنذار والصرخات، ترددت كلمات قاتمة:

- لا مكان للضعفاء هنا، ولا رحمة لمن خانوا العهد. الخونة والبراءة، كلاهما سيذوقان طعم دماء العقاب.

كانت تلك الكلمات تتردد في الأزقة المظلمة، وتنعكس على جدران البيوت التي لم تعد تحمل في طياتها إلا أصداء الألم.

عندما وطأت أقدام فولكار في شوارع نيساليا، اندلعت موجة من الفاجعة المروعة. كان المشهد أمام عينيه وكأن القدر رسم لوحة من الكوارث، حيث سادت الفوضى والدمار في كل زاوية.

على الرصيف، كانت الجثث متناثرة كأنها رسائلٍ بائسةٌ كتبها الموت، وكل جسد يحمل قصصًا من الألم المروع. انكسرت النوافذ، وتصدعت الجدران تحت وطأة الضربات العنيفة، فيما اشتعلت النيران في بقايا البيوت لتملأ السماء بدخانٍ أسود يغطي كل شيء.

في وسط هذا الدمار، ظهرت لقطاتٌ لا تُنسى من قسوة الليل. فقد كان هناك طفلٌ صغير يُدعى أثوبيا، يختبئ في صندوق خشبي ضيقٍ كملاذٍ وحيدٍ من جحيم العالم؛ إذ كان والده يُذبح أمامه أمام عيونٍ مليئةٍ بالهلع والعجز. وفي مكان آخر من المدينة، كانت جوديث، الطفلة التي شهدت مأساةً لا تحتمل؛ ترى أمها تتحول إلى حجرٍ باردٍ تحت وطأة لعنة الصافرة.

لم تقتصر المأساة على مآسي الأفراد فحسب، بل امتدت لتشمل المدينة بأسرها في لحظة من الألم الجماعي. تحوّلت الأزقة المزدهمة التي كانت يوماً ما ممراً لحكايات الفرح والاحتفالات إلى ممراتٍ من السواد والدمار.

كانوا جنود فولكار في مشهدٍ لا يمكن نسيانه، يمارسون إبادةً ممنهجةً؛ يُطاردون الخونة بلا هوادة، ويصفون كل من تقاطع طريقهم بأنه عدو للمملكة. لم يكن هناك فرقٌ بين الخائن والبريء في نظره؛ فكلهم سيُسحقون تحت عبء القوة الوحشية التي تسيطر على المدينة.

ترددت صرخات الألم والعذاب في كل مكان؛ النساء اللاتي فقدن ذويهن والأطفال الذين فقدوا البراءة، كلهم كانوا شاهدين على مشاهدٍ لا تُحصى من البشاعة. وفي إحدى الأزقة الضيقة، ارتعد قلب كل من كان يستمع لصدى دماء السقوط، حتى أن جدران البيوت بدت وكأنها تنطق بحزنٍ عميق على ما تبقى من حياةٍ نادمة.

لم يكن فولكار قد أنهى بعد. بعد أن فرش طريقه المدمّر عبر شوارع المدينة، تجمّع من حوله الجنود ومنهم أولئك الذين لم يبقَ لهم خيارٌ سوى الانقياد لقسوته.

وقف فولكار في ساحةٍ واسعةٍ وسط المدينة، وتحدث بصوتٍ يخترق قلوب من يسمعون:

- اليوم نزرع بذور الظلام في تربة خائنة، ونحول دماءكم إلى وقودٍ للطقوس القادمة. لن يعرف الخائنون الرحمة، ولا يُستثنى البريء؛ فكل روحٍ تنزف ستصبح ركيضةً لعصرٍ جديدٍ من الظلم.

بهذه الكلمات، أعلن فولكار أن الكهنة، الذين كانوا يوماً رمزاً للروحانية والضياء، سيُبقون على قيد الحياة؛ ليس ليقوا في هذا العالم بل ليكونوا مصدرًا للطاقة التي ستغذي الطقوس السحرية القادمة. هكذا، أصبحت مدينة ثيساليا شاهدةً على درسٍ مرّ لا يُنسى؛ درسٌ يقضي على كل من يجرؤ على التمرد أو الخيانة، ويُعيد كتابة قوانين الحياة على نسقٍ من القسوة والدمار.

مع مرور الساعات وازدياد وقع الدمار، بدأ صخب المعركة يهدأ شيئاً فشيئاً، وحلّ سكوتٌ قاتمٌ في شوارع المدينة. لم يكن هذا السكون هدوءً مطمئناً، بل كان صمتاً مُكلاً بعيق الموت والندم، يرافقه صدى صرخات منسية ونفوسٍ مُنهكة تبحث عن بصيصٍ من الضوء وسط الظلام.

ومع بداية شروق شمسٍ حمراء كأنها تذكارٌ أخيرٌ للعذاب، ظهر فولكار مرة أخرى في قلب ساحة المدينة، وقد التقط أنفاسه ببرودٍ لا يشوبها شفقة. كان ينظر حوله كأنما يرصد آثار مجازرٍ لا تُحصى، ويترك نظرةً قاتمةً تروي حكاية قسوةٍ متفوقة على كل تصورٍ إنساني.

بينما كان جنوده ينهشون ما تبقى من منازل وشوارع، بدا أن كل شيء قد انحسر تحت وطأة حكمه؛ فقد تحول الفرح إلى ذكرى باهتة، والأمل إلى رمادٍ متناثر. لم يبقَ للمدينة إلا آثارٌ من الألم التي ستظل محفورةً في ذاكرة الزمان، ذكرى لقسوةٍ لم تعرف الرحمة.

في غابة الزيتون القريبة، التقى اثنان من الناجين؛ كينيمين، أثوبيا وجوديث اللذان حملتا معهما شذرات من الماضي المأساوي، هيلينا الأولى ظهرت لأول مرة مع قطعة القلادة البلورية. في تلك اللحظة، كانت بذور المقاومة قد بدأت تنمو من رحم الألم، معلنةً أن لكل ظلم فرصة للانتقام، وأن الحياة رغم كل شيء ستظل تسعى لإيجاد طريق للخلاص.

كانت تلك اللحظة بمثابة وداع للموت واحتفاءً ببزوغ فجر جديد، رغم أن فجره قد حمل معه عبق الخيانة ورائحة الدمار. كان الألم حاضراً في كل زاوية، لكنه كان أيضاً بمثابة جسر بين الماضي المظلم وبين مستقبلٍ قد يحمل في طياته بذور النهوض بعد الدمار.

مع انقضاء سكون الدمار، بدأت أولى خيوط الفجر تخترق أفق المدينة المدمرة. لم يكن هذا الفجر عادياً، بل كان كأنه إشراقة من قلب الألم، نور ينبثق من رماد معركة دموية، حاملاً بين خيوطه وعداً بإعادة الحياة من بين بقايا الخراب. كان لون السماء يتدرج من الأحمر الدامي إلى برتقالي خافت، وكأن الطبيعة نفسها تبكي على مآسي الليل وتعد بوعدٍ بأن الشفاء قادم، رغم أن الدموع المختلطة بالرماد والدماء ما زالت تروي الأرض.

على هامش هذا الفجر المتجدد، بدأت قصصهما تتسلل كأسرارٍ محفورة في ذاكرة المدينة. جلس أثوبيا، وعيناه تلمعان بندوب من الذكريات المؤلمة؛ فقد فقد كل ما كان يحمله من آمالي وأحلام.

وعلى زاويةٍ أخرى من الساحة، وقفت جوديث وهي تحمل بين يديها قطعةً صغيرة من تمثالٍ كان يرمز للسلام الذي مضى، تتلو آياتٍ قديمةً تعود لزمانٍ كانت فيه المعابد معاقلاً للأمل. كانت عيناها تفيضان بالحزن والحنين إلى زمنٍ آخر.

هيلينا – نور غابة أشجار الزيتون

"الضوء لا يموت... إنه ينتقل فقط"

- آخر ما كتبه هيلينا الأولى على أوراق الشجرة المقدسة

كانت كلمات هيلينا الأولى تلك النبض الأخير الذي خطته على أوراق الشجرة المقدسة، معلنةً أن الضوء، مهما طال به الليل، لن ينطفئ بل سينتقل من جبلٍ إلى جبلٍ. وفي تلك اللحظة التي أعلن فيها أولى صافرات تيساليا، كان القدر قد خطَّ مسارًا جديدًا لأرواحٍ ستظل تُخلد على مر الزمان.

في ظلال الشجرة العتيقة، ذات الجذور المتشابكة والسرمدية التي تحمل ذكريات الأزمنة،

اجتمعت هيلينا مع خمسة أطفال، تجمع غامض يحمل بين طياته وعدًا بالتحول والخلود. كان المكان يبدو كمنبرٍ للسرّ، حيث تهمس الرياح بأسرارٍ من زمنٍ بعيد، بينما كانت عيون الأطفال تلمع بنورٍ خافت لم يعرف بعد معنى الأمل الحقيقي.

قالت هيلينا بصوتٍ مفعم بالحزن واليقين:

- هذا سيكون مؤلمًا بعض الشيء

وكانت كلماتها تتردد مع دقات قلبٍ منقسم بين الخوف والطموح، فقد كان على منّا أن نعبر عتبة الألم لنولد من جديد.

وبينما كانت تداعب يدها المتجعدة صدر الطفلة الصغرى، بدأ نورٌ ذهبيُّ يتسلل عبر جلدها كأنه إشراقة من فجرٍ قادم، واكتسحت حرارة ذلك النور المكان، ممزوجة بمرارة الفراق ووعد الخلود.

في تلك الليلة التي كان القدر يخطُّ عليها خطواتٍ محسوبة، كشف السر عن نفسه في تفاصيل دقيقة لم يعرفها سائر العالم. فقد كانت كل بذرة زيتون تحتاج إلى ثلاثة عناصر مقدسة، تُجمع لُحبيي روح الأرض وتُخلدها:

- دمعة طفل غير ملوثة بالخوف

- ذاكرة فرح واحدة تُجمد في لحظة زمنية

- جزء من روح هيلينا

— نرة من الذات، تُمزج مع قلب الأرض لتصبح نبضًا خالدًا، تتوارثه الأجيال كسرٍّ من أسرار الخلود.

هكذا كانت الشجرة المقدسة تأبى إلا أن تحصد تلك العناصر الثمينة لتصبح بذور الزيتون، كل بذرة تحمل وعدًا بأن الألم يمكن أن يتحول إلى حياة، وأن الخيانة والدموع قد تنبت من رحمها شجرةً من النور.

وسط سكون الطقوس وتوتر اللحظة، وقفت طفلة التي لم ترد أن تُذل بخنوعها، مُعلنًا بثباتٍ مفعم

- "أريد أن أقاتل مثل أبي!"

كانت كلماتها تصدح في الهواء، تُمثل تحديًا للألم والخوف، ورفضًا لأن يُذل الدمع أمام قسوة الواقع.

ابتسمت هيلينا، نظرتها تحمل عمق الحكمة والألم معاً، فأجابتها بصوت هادئ رغم قسوة المشهد:

- الشجاعة الحقيقية هي أن تحمل الألم كهدية للغد.

وكانت هذه العبارة بمثابة وصية تحمل سرّاً بأن الألم لا يقضي على الروح بل يرسخها ليصعد بها نحو مستقبلٍ مشرق رغم الظلام.

تحت أقدام الشجرة العتيقة، كان الجذر ينبض بإيقاع يشبه دقات قلب مجنون، كأن الأرض ذاتها استيقظت لتشهد ولادة طمسٍ مقدس. كانت جذور الشجرة تتحرك في تناغم مع صرخات الرياح، تردد قصة الألم والأمل، وتنقلها إلى أعماق الأرض لتصبح نبضاً خالداً يروي قصص النهوض من بين الانقراض. كان ذلك الصوت المزمجر يشبه لحن الطبيعة الذي يعد بمستقبلٍ لا يُمحى رغم كل الجراح.

في الوقت الذي كانت فيه الطقوس تتماوج بين نور الذهب وظلال الخوف، دخل جنود الجنرال إلى البستان كما لو أنهم يبحثون عن انتصارٍ حتمي. لكنهم وجدوا مشهداً يفوق الخيال؛ فقد وجدوا الأطفال جالسين في دائرة حول الشجرة، عيونهم مفتوحة على مصراعها لكنها كانت فارغة، كأنّ الروح قد فارقتهم في لحظةٍ من النسيان.

كانت هيلينا قد ذابت في حضن الشجرة، جثةً ممسوخةً بجذور متشابكة كأنّها أصبحت جزءاً من الأرض نفسها.

قبل أن يغادر الوجود، رأت هيلينا رؤيا سحرية ترسم في خيالاتها المتلاشية. في تلك الرؤيا، ظهرت لها صورة لطفلةٍ تُدعى "هيلينا الثانية"، أحد الأطفال المُنقذين، التي ستعود بعد قرون تحمل سيفاً مشعاً من أوراق الزيتون. كان ذلك السيف رمزاً للقوة، ودمها، حين تمتزج مع دماء البشر، سيخلق مزيجاً فريداً من الحياة والشجر، يحفر معاني النهوض والخلود في صفحات التاريخ.

كانت الرؤيا بمثابة نبياً من نور المستقبل، تُخبر أن الألم والتضحية لن يضيعا سُدى، بل سينثيق منهما فجرٌ جديد، تُستعاد به الإنسانية من بين أنقاض الألم وتذكار الخيانة.

وهكذا، ومع انقضاء تلك الليلة التي عانت فيها الأرض من طقسٍ مقدس، تُترك بذور الزيتون ترفرف في الهواء كرموزٍ للأمل والخلاص. بقي صدى كلمات هيلينا يتردد في زوايا البستان، يهمس بأن "الضوء لا يموت، إنه ينتقل فقط"؛ وأن كل دمعة وكل ألم يحمل في طياته فرصةً للنهضة والخلود.

أصبحت تلك الحكاية، التي بدأت بكلمةٍ بسيطة وتُوجت بوفاةٍ مُرتجلة، جزءاً من أسطورة ثيساليا، رمزاً بأن الألم يمكن أن يتحول إلى قوة، وأن التضحيات يمكن أن تُزهر في أرضٍ مثقلة بالخيبة.

فكلما هبت نسائم الليل على البستان، كان صوت المطر يُعيد ذكرى الطفولة وصدى دموع لا تُنسى، مُعلنًا أن النور، مهما طال به الزمن، سيظل ينتقل من جيلٍ إلى جيل، حاملاً معه وعد الخلود وأمل التجدد.

الفصل الثالث

ذاكرة مُعلّقة في متاهة الحجر

بعد مرور بضعة سنين من ليلة الكسوف الدامية واستقرار المملكة

بعد الحادثة الأخيرة التي ضربت المعبد

تم إعادة تجديد المعبد من قبل بعض من الكهنة يترأسهم الكاهن الأعظم "زارغوس" الذي تولى الحكم بعد فترة كابين

المعبد لم يكن مبنى، بل كائنًا حيًا ينمو كالورم. جدرانه تتكون من عظام أطفال ثيساليا الموتى، وأبراجه تشبه أبراج مُلتوية نحو السماء.

كان الكهنة الذين في المعبد يُطلق عليهم "العرافون" يرتدون أقمعة من جلد الحراس السابقين، يتواصلون مع الأرواح عبر طقوس تُدعى "رقصة الألسنة المقطوعة".

عندما يتنفس الحجر في قاعة "الأوتاد السوداء" تحت المعبد، اجتمع الكهنة العرافون حول بركة دماء دائرية. الكاهن الأعظم (زارغوس)، يرتدي عباءة من جلد حراس سابقين، رفع يديه المنتشقين:

زارغوس (يهدر):

- الدم يُنادي الدم... والقلب البلوري جائع!"

الطقوس بدأت بتريديد ترنيمة مكتوبة بلغة الحجر، بينما يُسحب سجين عجوز إلى المنصة. سكينٌ من ظلٍ قَطَعَ رقبته، وانهمر الدم في البركة، مُشكلاً خريطة ثلاثية الأبعاد لثيساليا.

حوار بين زارغوس وكاهن شاب (داريون):

داريون (يتردد):

- لماذا نستخدم دماء الأبرياء؟ أليس في القوة الحجرية ما يكفي؟"

زارغوس (يغمز):

- الدماء ليست وقودًا... إنها ذكريات. الذكريات تُضعف الأعداء."

في سرداب مُظلم، وقف زارغوس أمام صف من التماثيل الحجرية العملاقة. يرسم رمزًا بالدم على جبينهم، ثم ينفخ بصافرة العتمة.

التماثيل تتحرك كأنها كائناتٌ من كوابيس، عيونها تدمع سائلًا أسود.

في مفاجأة تُقلب الموازين، داريون الكاهن الشاب يسرق قطعة من القلب البلوري المكسور، ويهرب إلى الغابة.

زارغوس يلحق به عند شجرة الوجه المنسي، حيث يُحاول داريون تحطيم القطعة

داريون (بيكي):

- لن أسمح لك بتحويل ابنتي إلى حجر!

زار غوس (بهزلية):

- ابنتك؟ تلك التي رببتها دون أبيها ثم ألقيتها في النهر لتنجو من الطقوس؟
إنها ميتة!"

انفجر داريون غضبًا، وكشف عن وشم على صدره "رمز شجرة الوجه المنسي". الوشم يتوهج، وجذور الشجرة تبتلع زار غوس بينما يهرب داريون إلى الظلام.

في الغابة، وقف داريون أمام أطلال كوخ هيلينا الأولى القديم. القلب البلوري المكسور يلمع في يديه، بينما تُطلّ عليه صورة شبحية لأبنته:

«بعد مدة من الزمن»

هيلينا: الابنة التي صارت جذراً نرى هيلينا طفلةً في نيساليا القديمة. والدها الذي كان كاهناً في المعبد، واكتشف خطط المعبد. كعقاب، تم ربطه بجذع شجرة الوجه المنسي، بينما هيلينا شاهدت روحه تُمتص إلى داخل اللحاء بحجة الخيانة لكيان المعبد

نرى هيلينا الطفلة تجلس تحت شجرة الوجه المنسي، تلمس جذعها المُتشفق. الشجرة تهمس لها بلغةٍ مكسورة:

الشجرة (بصوت أمها الراحلة):

- أنتِ لستِ بشراً... ولا شجرة. أنتِ الجسر."

هيلينا الصغيرة كانت تُعاني من كوابيس متكررة: رؤية والدها يُسحق تحت جذور الشجرة، وصراخ أمها التي تحولت إلى تمثال ملحي.

في ليلة مطرة، اختبأت هيلينا داخل جذع الشجرة هرباً من حراس ألفيرون. الجذور التفتت حولها، وبدأت تنبت من ظهرها كأذرع سوداء.

أولى ذكرياتها التي فقدتها: كانت صديقةً لـ أثوبيا وجوديث في طفولتهم، وكادت تموت بينما تحميهم من كهنة المعبد.

هيلينا (تبكي للشجرة):

- لماذا أنا؟ لماذا لا أتذكر اسمي؟"

الشجرة:

- لأن الذاكرة ثقل... ستطيرين حينما تنسين.

الشجرة تتحدث:

صوت أنثوي عميق يهز الأرض:

- أنت ستكونين عيوني... اذهبي، وانثري البذور التي سئعيد الذاكرة إلى هذا العالم."

هيلينا الصغيرة تتحول إلى كائن هجين، جذور تنبت من ظهرها. عيناها تريان الماضي والمستقبل في آن. قدرتها على التحول إلى ضباب زيتوني، لكن كل مرة تفعلها، تفقد جزءاً من ذاكرتها البشرية. لتصبح الآن «هيلينا الثانية - خليفة هيلينا الأولى»

هيلينا الأولى: "هذا سيحملك... لكن سيجعلكم تنسون." عندما تصرخ الجذور

«فقدان الذاكرة»

أثوبيا كان يهرب من دروس النحت ليلعب مع جوديث "العبة الاختباء" في أنفاق المعبد السرية.

بعد أن تعرفا هيلينا في الغابة اثناء طريقهم إلى المعبد اكتشفا غرفة ممنوعة، جدرانها مغطاة بنقوشٍ لشجرة تبتلع أطفالاً.

جود (تتسلق كتف أثوبيا)

- انظر! هذه النقوش... كأنها تحكي عنا!

أثوبيا (يرسم دائرة بالطباشير):

- أبي كان يقول إن هذه الشجرة شريرة... لكن أمي كانت تُصلي لها.

هيلينا (تلمس النقوش):

- أبي يقول إن هذه الأشياء من خيال المجانين!

أثوبيا (يرسم رمزاً بالفحم):

- لكنها حقيقية... أنا أراهم في أحلامي.

السرداب السري كان في المعبد مكان لأحتجاز "القلب البلوري" المكسور، محاط بتمائيل حراس تنزف عيونها ماءً أسود.

قبل كل فجر، يذبح الكاهن الأعظم طفلاً من أطفال الغابة، ويستخدم دمه ليرسم خريطة الأنفاق تحت المدينة. الدماء تتجمع في بركة تشبه تلك التي في الغابة، لكنها تُصدر أصوات صراخ بدل الهمس.

فجأة، سمعوا صوت خطوات. اختبؤوا خلف تمثالٍ مكسور، وشهدوا كارثون (الكاهن الأعظم) وهو يتلقى صندوقاً من مبعوث ألفيرون. داخل الصندوق: قلادة من عيون بشرية مُجففة.

كارثون (يهمس):

- الدم سيكون ملكاً لنا... والشجرة ستحترق.

أثوبيا لم يستطع كتم العطسة، فأنكشف أمرهم. هربوا عبر الأنفاق، انفتحت الأرض تحت أقدامهم. لتظهر شبكة عنكبوتية سوداء لقت جسداهم، وسُحبا إلى قاعة مظلمة تنبعث منها رائحة اللحم المحروق.

جود (تُحاول تحرير يدها):

- هذه الشباك... إنها مصنوعة من شعر البشر!"

ظهر كارثون، قائد الحراس الأعظم، بدرعٍ من عيون مُجففة:

- أخيراً... المختار والخائنة. الدماء ستعود إلى حيث تنتمي.

أثناء نقلهم إلى غرفة الطقوس، استعلت هيلينا ذاكرةً من طفولتها: والدها علمها كيف تفكّ العُقد بسكينٍ خفيّ في ضفيرتها. قطعت الشباك، ودفعت كارثون وأطاحت به أرضاً

الممرات تتغير اتجاهاتها كلما سال الدم على جدرانها. بينما هيلينا تقاثل بكفينٍ ملطختين بدماء الحراس، أتوبيا يحاول فك شفرة النقوش على الباب الأخير.

كارثون لهيلينا (بنبرةٍ تُشبه صرير الباب):

- أتعلمين لماذا اخترناكِ أولاً؟

لأن دماءكِ تحمل عطر الخيانة... مثل أبويك."

هيلينا (تُحاول إخفاء رعشتها):

- أبي لم يخن المدينة... أنت من باعها لألفيرون!"

انفجر كارثون ضاحكاً، ثم أخرج سكيناً من جيبه، نصله منحوت من عظم شجرة الوجه المنسي

- الخيانةُ وراثَةٌ... سأجعلُكِ تُعيدين كتابة تاريخكِ بدمائك."

قبل أن يهوي بالسكين، تذكرت جود كلمات أبيها:

- الخوفُ يُعمي، لكن الغضبُ يُنير."

انقضت هيلينا على المصباح الأرجواني، وحطته على الأرض، فانسحب
الظلام كستار. في الفوضى، سمعت صوت أثوبيا يصرخ من زنزانة
مجاورة:

- جود! الجدار الأيسر... هناك شقّ!"

زحفت جود مع أثوبيا نحو الصوت، يداهم تلمسان جدارًا رطبًا تنبعث منه
رائحة دم قديم.

لكن الهرب لم يدوم طويلًا أنقضّ عليهم من قبل حراس الحجر وعادوا إلى
نقطة الصفر ولكن هذه المرة جزاء فعلهم سيتعامل معهم زارغوس بوحشية

«أثوبيا – تفتيت المرأة»

"الذاكرة ليست سوى سجن نصنعه لأنفسنا"

– نقش على جدران سجن المعبد

اليوم الأول: الاستيقاظ من العتمة

لم يكن أثوبيا يدرك كم مرَّ من الزمن منذ أن أغمضت عيناه قطعةً من القماش المُشبعة برائحة الكافور، كأنها رمزية لنعومة حياةٍ انقطعت فجأة. استيقظ في غرفةٍ مستديرة، جدرانها من حجر البازلت الأسود تنضح برطوبةٍ ساميةٍ تخلف أثرها في كل زاوية. كانت السلاسل الباردة تقيد جسده، كما لو أنها تقيد روحه المُحطمة. من فتحة صغيرة في السقف، تسلّل ضوء أصفر خافت، يُعيد إليه لمحةً من ضوء شمس ألفيرون المحتضرة، متذكراً أيام النور والأمل التي باتت مجرد ذكرى بعيدة.

رنَّ صوتٌ ميكانيكي من أنابيب نحاسية مثبتة في الزوايا، يُعلن بيروود:

- "إسمك إينا... لا تاريخ ميلاد... لا وطن."

حاول إينا الصراخ، لكن لسانه كان ثقيلاً، مُغلَقاً بثقل الرصاص كما لو أن كل كلمة تعجز عن اختراق صمتٍ مُميت. كانت تلك اللحظة بدايةً لرحلةٍ من الألم، رحلةٍ سيتعلم فيها أن الذاكرة يمكن أن تُصبح عبئاً وأحياناً سجنًا لا مفر منه.

الأسبوع الثالث: جلسات العراف

مرت الأيام كأنها شظايا من دموع متساقطة، حتى بدأ يُقام في الغرفة جلساتٌ يومية مع الرجل الذي يُعرف بالعراف. كان العراف يدخل الغرفة مرتدياً عباءةً مزينة بزموزٍ فلكيةٍ باهتة، يجلس أمامنا ويدير عجلةً معدنية تصدر صوت طنين يشبه أزيز الذباب في ليلة صيفية هادئة.

جلس العراف أمامه، ملمسًا جبهته بأصابعٍ باردة، وقال بصوتٍ منخفض:

- "أخبرني عن شجرة الوجه المنسي... ما الذي تعرفه عنها؟"

نظر إينا إلى العيون التي حُنفقتها الهموم، وأجاب بصوتٍ مثقلٍ بالألم:

- "لا... لا أتذكر."

في تلك اللحظة، انفتحت فجأة فتحات في الجدران، فاندفعت مياه جليدية تُوقظ الآلاف من الإير في جسده، أصبح الألم هو اللحن الوحيد الذي يُرافقه، وترسخت في ذهنه صورةٌ غامضةٌ لتلك الشجرة التي ربما تحمل مفتاح استعادة ذاته المفقودة.

الشهر الثاني: بين المرايا المتكسرة

نُقل إينا إلى غرفةٍ مُغطاة بمرايا مُحدبة تمتد من السقف حتى الأرض، حيث لم تعد المرايا تُظهر سوى انعكاساتٍ مشوهةٍ لوجهه، وجميعها تحمل صورةً مختلفةً، كأن كل امرأة تسرق جزءًا من ذاته.

في إحدى تلك اللحظات، سمع إينا صوتاً حاداً ينبثق من خلف إحدى المرايا:
- "أيهم أنت؟"

تلثم إينا في محاولة للإجابة، لكن المرايا بدأت تدور بسرعة، وتفتت صورته إلى آلاف القطع. وبينما كان يحاول جمع شتات نفسه، لمح في إحدى الزوايا ظل هيلينا؛ كانت تبتسم ابتسامة حزينة قبل أن تذوب في الضباب. ترك ذلك المشهد أثراً عميقاً فيه، فأدرك أن الوجوه المتكسرة في المرايا تمثل أجزاءً من نفسه المفقودة، وكل قطعةٍ منها تحمل حكاية من الماضي الذي لم يستطع أن يحتفظ به.

بعد 7 شهور: الغوص في أعماق الذاكرة

مرت الأيام شهوراً من المعاناة، حتى وصل إينا إلى قاعةٍ مهيبية، جدرانها تغطيها نقوشٌ قديمة، ومسبح دائري مملوء بسائلٍ فسفوري ينبض بالحياة والذكريات. أُجبر على الغوص في ذلك السائل، وكأنها رحلة لاستعادة أجزاءٍ من روحه المفقودة.

تحت الماء، رأى رؤىً متشابكة:

- طفلاً يلعب ببذرة زيتون في قرية محترقة، يرمز إلى بقايا الأمل المفقود.
- هيلينا تطعن رجلاً يشبهه بسيف من نور، كأنها تُعيد كتابة معادلة النضال بطريقةٍ أسطورية.
- شجرة عملاقة تبتلعه بجذورٍ مدمرة، تُخبره بأن كل شيء سينتهي مع تلاشي الزمن.

عندما صعد إلى السطح، كان ينتظره العراف مرة أخرى، في لحظة من الصمت الذي يعم المكان:

- "الآن... أخبرني من أنت؟"

ردّ إينا، بصوتٍ متعثر: "أنا... لستُ أحدًا."

كانت تلك الكلمات كصرخة تُعلن فقدان لهويته، ورغم ذلك، كانت بمثابة بداية لفهم أن الذاكرة ليست مجرد صورٍ سابقة، بل هي فكرة معقدة تُشكل كيانه.

انتهت رحلة إينا في تلك الغرفة البيضاء النقية، حيث وُضعت أمامه أدوات جراحية غريبة: قناع من الجلد الحي يشبه وجهه تمامًا، وزجاجة تحتوي على سائلٍ أزرق مكتوب عليه "الذاكرة البديلة"، ورسالة بخط الخازن تُعلن:

- "هذه هديتك... كوني ممتنة."

لكن تحت الطاولة، وجد إينا خدشًا قديمًا على الحائط يحمل الرسالة:

- "لا تتقوا بالماء الأزرق – هيلينا."

«جوديث – مسرح الأكاذيب»

اليوم الأول: يقظة في قصر الوهم

استيقظت جوديث في غرفة مترفة مبنية على نسخة طبق الأصل من غرفتها في قصر والدها المُدَمَّر، لكن الهدوء الذي كان يحيط بها لم يكن إلا ستارًا يخفي وراءه لعنة الزمن. كانت الغرفة مزينة بأثاث فاخر، والستائر المخملية تتمايل برفق مع نسيم بارد يمر من نافذة مفتوحة. وبينما كانت عيناها تتفتَّحان على هذا المشهد المُنعش ظاهريًا، بدأت التفاصيل تبرز بشكلٍ يُثير الرعب.

سمعت جوديث صوتاً دافئاً يوقظها قائلاً:

- "إسمك ذيو... لا تاريخ ميلاد... لا وطن."

فاستدارت لتجد امرأةً بلامح شبيهة بأמהا الراحلة تجلس على السرير، وتمسك بكوب شاي ينبعث منه دخانٌ خفيف. لكن شيئاً ما لم يكن على ما يُرام؛ فقد لاحظت ذيو أن الساعة المعلقة على الحائط تدور عكس اتجاه عقاربها، وصورة والدها في الإطار تتحرك بخفة حينما لا يلاحظ أحد ذلك.

في تلك اللحظة، تسللت شرارات الشك في قلبها؛ فقد شعرت أن الهدوء المحيط بها مجرد قناع يُخفي وعوداً كاذبة وأهاتٍ مستترة. كانت كل التفاصيل تبدو وكأنها مُعدّة بعناية لتُثير حالة من التوهُّج الذهني والقلق، فتساءلت بصمت: هل هذا هو الواقع، أم أن هناك لعبةً شيطانية تخبي أسرارها في زوايا هذا القصر؟

الأسبوع الثاني: التجوال في قرية الظلال

بمرور الأيام، أذن لذيو بالتجول في "القرية" التي بناها الحراس تحت الأرض، وهي نسخة مُصغرة من ثيساليا. كانت القرية عبارة عن نموذج مسرحي بانس، كل سكانها ممثلون مُحَنِّكون، وجوههم متعبة وكأنهم جنود قضا سنوات من الاضطراب والتظاهر.

تجولت ذيو بين الأزقة الضيقة التي أُعدت بإحكام، تتأمل في كل تفصيلة تخفي وراءها قصصاً من الألم والجنون. وفي إحدى الليالي، بينما كان ضوء المصابيح الحمراء يتراقص على جدران القرية، ارتفعت صرخة مفاجئة من داخلها:

- "لماذا تتظاهرون أنكم تحبونني؟"

تردد الصدى في كل زاوية من الزوايا، لكن بدلاً من الإجابة جاءت عجلة ضخمة في مركز القرية، تدور بقوة غامضة، حتى تحول كل السكان إلى تماثيل شمعية تذوب ببطء تحت وهج المصابيح الحمراء. شعرت ذيو بخوف عميق، إذ كان المشهد يذكرها بأن الأكاذيب قد تحولت إلى حقيقة مريرة.

الشهر الثالث: محكمة الغموض والشكوك

لم يمر وقت طويل حتى أُجِلست ذيو على كرسي ملفوف بجلد ثعبان في قاعة محكمة. كانت القاعة مظلمة، محاطة بأضواء خافتة تنوّهج على جدرانها البالية. وعلى المنصة، ارتدى 12 قاضياً أقنعة ذهبية، بدت وجوههم وكأنها تمثل أجزاءً من حلمٍ مرير. بدأ القضاة جلسة استجواب سوربالية، كلٌّ منهم يُلقى سؤالاً بمزيجٍ من الغرابة والقسوة:

- "المتهمة تتذكر اسم والدتها الحقيقي... هذا جريمة!"

ثم جاء آخر: "المتهمة تعتقد أن الهروب ممكن... هذا وهم!"
وأخيراً، تردد أحدهم: "نطالب بمحو 80% من وعيها!"

في تلك اللحظة، حاولت ذيوان تحتج، لكن بابًا خلفها فُتح فجأة، وظهر ظلُّ
منها بعيون زيتونية تهمس بصوتٍ خافت:

- "استسلمي... النسخة الجديدة منك أجمل."

كانت تلك الكلمة كطعنةٍ في قلبها، إذ شعرت بأن هويتها قد تُسرق منها شيئاً
فشيئاً، وأنها أصبحت مجرد ظلٍ مكررٍ لا قيمة له في عالم الأكاذيب.

الشهر السادس: العلاج الأخير وسحر الذاكرة البديلة

وصلت ذيوالى اليوم الأخير من "العلاج"، حيث أدخلوها إلى غرفة بيضاء
نقية، تختلف تماماً عن الأجواء السابقة، وكأنها محاولةٌ لإعادة ترتيب
فوضى الذكريات. على طاولة جراحة أنيقة، رأت جوديث ثلاثة أشياء
غريبة:

- قناعاً من الجلد الحي يشبه وجهها تماماً.

- زجاجة تحتوي على سائل أزرق، مكتوب عليها "الذاكرة البديلة".

- رسالة بخط يد الخازن تقول: "هذه هديتك... كوني ممتنة."

لكن ما كان أسوأ هو ما وجدته تحت الطاولة؛ خدش قديم على الحائط يحمل
الرسالة المخفية:

- "لا تتقوا بالماء الأزرق - هيلينا."

في تلك الأيام الطويلة من العذاب، بدأت ذيو وإينا يدركان أن كل ما عاشاه كان مسرحًا للأكاذيب، حيث تتداخل الذكريات والواقع، ولا يستطيع المرء التفريق بينهما. كانت الذاكرة التي بناها النظام، وتلك الرسائل المخفية على الجدران، تحاول أن تُسلب منهما هويتها شيئًا فشيئًا. وبينما كانت ذيو تتذكر همسات هيلينا في زوايا الذاكرة وشكل وجه والدها الذي كان يتحرك في الإطارات، كان إينا يسترجع صور الأيام التي كان فيها حلم الحرية يبيض بصدق، وكأنهما معًا يمثلان شظايا حقيقةً تحاول أن تثبت من بين أكاذيب النظام.

مع مرور الأيام، عاشت كل لحظة كأنها تذوب في بحرٍ من الشكوك، لكنهما رفضا الاستسلام. سعيهما المشترك كان بحثًا عن بصيص نور يخرج بهما من متاهة الأكاذيب التي صنعها الآخرون لهما. ففي كل مرة يستحضر كلٌّ منهما صور الأوهام المتكسرة، كان صوت الحقيقة يهمس في قلبهما: هل يمكن للحقيقة أن تعيد بناء من تحطمت أكاذيبهم؟

الفصل الرابع

رقصة حراس الحجر والدم قبل العاصفة

«ظلال الزحف – استعداد زارغوس والمعسكر المظلم»

بدأت سحب نيساليا تكسو الليل، في تلك اللحظة التي يُخفى فيها نور القمر تحت عباءة الغيوم الثقيلة، بدأ زارغوس يستحضر من أعماق نفسه عزماً لا ينضب. كان ذلك اليوم الذي سبق الغزو، حيث انقلبت الطبيعة نفسها إلى ساحة معركة قديمة منسية، تُعلن عن بدء فصلٍ جديدٍ في تاريخ المدينة.

في قاعة الحجر المظلمة داخل قلعة المعبد، وقف زارغوس، القائد الذي طالما أدار مصير الحراس والجنود بخطى ثابتة وبصوتٍ جبار. كانت جدران القاعة تنطق بنقوشٍ محفورة بأيدي الأسلاف، تحكي قصص انتصاراتٍ ودماءٍ سُفكت على مذابح الزمن. أمامه، على طاولة كبيرة من الحجر الخشن، مفروشة بخريطة قديمة مرسومة بالأحبار الدموية والرموز السرية، دقّق في تفاصيلها، يبحث عن الثغرات التي ستمنحه ميزة لا مثيل لها في المعركة التي سيواجه فيها الجنار فولكار الذي سابقاً وقد تمرد على المعبد وأنهى أحد سلالاته

زارغوس، ذو الوجه المقطوع الذي لا يُظهر سوى الجدية والصمت المخيف، تناثر حوله جنوده المُجهّزون بعناية. كان يرتدي درعاً أسود متألّفاً تزيّنه نقوشٌ معقدة تحاكي الأساطير القديمة، بينما كانت عيونُه اللامعة تراقب كل حركة وكل همسة في أرجاء القاعة.

همس لنفسه بصوتٍ منخفضٍ كأنه يتحدث إلى أرواح من ماتوا من قبل:

- "اليوم، سنكتب فصلاً جديداً من سيرة الظلام والخلود. لا مجال للتردد، فالسماوات تنزف، والأرض تنتظر دماءنا لتغذي جذورها."

في معسكر الجنود الذي أقامه زارغوس خلف جدران أرغوس الباردة. هناك، حيث يمتد الصمت كغطاء قاتم قبل العاصفة، كان الجنود يستعدون

بخفة متوترة. تحت ضوء مشع من المصابيح الزيتية المعلقة على أعمدة خشبية مهترئة، رُصَّ الجنود في صفوف منظمة، كل منهم يرتدي زيَّ الميدان المتين، ويحمل سلاحه الذي صقلته أيادي الحرفيين المهرة.

كان من بين الجنود ضباطاً مخضرمون، يرتدون وشاحاتٌ جلدية وأعلاماً صغيرة تشير إلى فصائلهم المختلفة، لكن جميعهم يشتركون في نظراتٍ تحمل مزيجاً من الخوف والتصميم. وفي زاويةٍ من المعسكر، كان هناك فريقٌ خاص يُعرف "المراوغون"، أولئك الذين لا يهابون التسلل خلف خطوط العدو؛ كانوا يدرسون تحركات الأعداء ويخططون لشن هجمات مباغتة في الوقت الذي يرتعش فيه قلب الزمان.

زار غوس مرّ على صفوفهم، خطاه الثقيلة تُحدث صوتاً يشبه طرقات الرعد على الأرض المتشققة. وعندما اقترب من أحد الضباط الشجعان، همس له:

- "اذكروا أن دماغنا اليوم هي بذورُ الغد. لا ننسى، ولا نرحم، ولا نلين حتى يسود الظلام كملكٍ لا يُشق له غبار."

كان صوته ينفجر بالحزم، ويشع من عينيه لمعة قاسية لا تعرف سوى العزم.

في تلك اللحظات، كانت النسومات الباردة تحمل رائحة الحديد المحروق والرماد المتطاير، وكأن الطبيعة تستعد لاستقبال معركةٍ ستعيد ترتيب موازين القوى في ثيساليا. كان الجنود يعملون بتناغمٍ عجيب؛ تُحمَل العربات الثقيلة الإمدادات، ويُجهز الحدادون أسلحتهم في زوايا المعسكر، بينما يُناقش المستشارون التكتيكات في همساتٍ تكاد تكون لغّةً سريةً بين الأعداء.

على الطاولة الحجرية داخل القاعة، كانت الخريطة القديمة تتلأأ بالوانٍ باهتة تحت ضوء شمعةٍ وحيدة. بدأ زارغوس بتوضيح الخطة التي طالما حلم بها منذ أن صنّع أول عهدٍ للظلام. كانت الخطة تستهدف نقاط الضعف في أسوار المدينة، تلك الثغرات التي كانت مخفية وراء أقواسٍ حجرية وأبوابٍ حديدية، مع التركيز على قلب المعبد الذي كان ينبض بنور البلورة الدموي.

رفع زارغوس إصبع واحدًا وأشار إلى رمزٍ مرسوم على الخريطة، قائلاً بصوتٍ هادئٍ يشوبه التأکید:

- "هنا، حيث يتجمع العدو في قلبهم، سننزل كالعاصفة. قوات المراوغين ستنتسل من الجهة الشمالية، بينما ستندفع وحدتنا الثقيلة من الجهة الشرقية. لا مجال للخطأ؛ فكل قطرة دم ستحسب وكل نداء سيُسمع في سماء تيساليا."

أوما الضباط بفهم عميق، إذ كانت تعليماته تُشبه معادلاتٍ عسكرية معقدة، تُستلهم من أسرار الأساطير القديمة. وفي تلك اللحظة، بدأ الجنود بالتخطيط لليلة المعركة، يتبادلون الهمسات والخطط في صمتٍ قائمٍ يتخلله نبض القلب.

زارغوس لم يكن يتحدث فقط كقائد عسكري، بل كان يُحاكي روح الظلام نفسها، مُعلنًا أن هذا اليوم سيُخلد في سجلات التاريخ كأحد أهلك وأعظم اللحظات. واصل قائلاً:

- "عليكم أن تعرفوا أن الولاء الذي نبيعه اليوم ليس وهمًا، بل هو جسرٌ نحمله لنصنع به مستقبلنا. أنتم السيوف التي ستخترق قلوب أعدائنا، وأن دماءكم ستحتج مجدنا في ذاكرة الأبدية."

مرت الساعات الأولى من الليل في معسكر زارغوس وكأنها دقائق قلب تتسارع قبل قفزة مصيرية. كان الجنود يتجمعون في خيمهم الخشبية، يتبادلون قصصهم الشخصية التي نسجت من أحلام الشجاعة والذكريات المؤلمة لليالي سابقة. كان الصمت يخيم على المكان أحياناً، يُسمح فيه فقط للهمسات الخافتة بصوتٍ مدوي يشبه زئير الحيوانات في البراري.

في إحدى الزوايا المظلمة، جلس ضابط شاب، يُدعى "رومين"، يتأمل في السماء وكأنه يبحث عن دليلٍ من الآلهة. لم يكن رومين يعلم بعد أن هذه اللحظات ستكون البداية الحقيقية لمعركتهم ضد كل ما هو مقدر لهم. وفي نفس اللحظة، ترددت في أذنيه كلماتٍ لطالما سمعها:

- "لا تخف من الظلام، بل احمله كدرعٍ واقٍ، فإن الظلام لن يخفي عنك نورك الداخلي."

كانت تلك الكلمات بمثابة وعدٍ بالأمل، رغم أن وجوه الجنود كانت تتلبد بالقلق والترقب.

زارغوس، الذي كان يتجول بين الخيام، توقف أمام رومين ونظر إليه بعينين حادتين:

- "كل منا يحمل في قلبه شعلة. تلك الشعلة هي قوتنا التي لن تنطفئ مهما حاول العدو أن يظلمها. احفظها، فأنت اليوم ستكون جزءاً من أسطورة لا يموت عهدها."

كلمات زارغوس تركت أثراً عميقاً في قلب رومين، فبدأ يشعر بأن ما ينتظره أكبر من مجرد معركة، بل هو معركة للروح والعزيمة.

مع حلول منتصف الليل، حينما بدأ القمر يظهر بدرته الكاملة وسط سماءٍ صافية، اشتدت التحضيرات في المعسكر. تراقصت أضواء المشاعل على الوجوه المجهدة، وانطلقت أصوات الأوامر والهمسات المجهدة مع انطلاق الدقات الثابتة للساعات.

كانت الوحدة الخاصة للمراوغين تحت قيادة ضابطٍ مخضرم يُدعى "غارسيا" تُعد نفسها للانطلاق في مهمة التسلل الحاسمة. كان غارسيا يُشير بإصبعه نحو الممرات الضيقة التي تمتد خلف أسوار المدينة، حيث ينتظرون الفرصة المناسبة لتشتيت انتباه العدو وفتح الطريق للقوات الرئيسية.

في تلك اللحظة، اجتمع ضباط المرافقين لزارغوس في حلقةٍ محكمة، يتبادلون آخر التعليمات والتكتيكات. إحدى النساء، محاربةٌ شديدة البأس، تحدثت بصوتٍ هادئٍ لكنها قاسية:

- "علينا أن نظهر وكأننا شبَّخَ يمر عبر الظلام، لا يُترك لنا أثر. سيكون العدو في حيرة من أمرنا، وسنستخدم هذه اللحظة لصالحنا."

ردَّ زارغوس، وجسده المهيب ينبعث منه ضوءٌ قائم:

- "تذكروا، إننا لا نقاتل فقط لأجل الانتصار، بل نقاتل لأجل أن نحفر اسمنا في كتاب التاريخ. اليوم، كل قطرة دم سنُكتب بخطِّ من نار، وستكون شاهدًا على أن قوة الروح لا تُفهر."

بينما كانت أصوات التخطيط ترتفع وتذوب في ضجيج الليل، كان زارغوس يقف في أعلى برج المراقبة داخل المعسكر، ينظر إلى الأفق البعيد حيث يبدأ خيط الضوء الأول في الكشف عن أولى ملامح المدينة. كانت تلك اللحظة كأنها بمثابة وعدٍ بأن الظلام سيتلاشى حتماً، وأن النور سيعود ليغمر المكان بعد معركةٍ لا تعرف الرحمة.

حين حلت الدقائق الأخيرة قبل بدء الغزو، امتلأ المعسكر بتوترٍ متصاعد. تسارعت خطوات الجنود، وتحولت الهمسات إلى صرخاتٍ موجهةً للأمام، كأنها ترتيلٌ نداءٍ مقدس يدعو للنهوض.

في لحظةٍ قررت فيها الأقدار أن تُطلق العنان للقوة المكبوتة، ألقى زارغوس أمره بصوتٍ مدوّ يتردد صداه في كل زاويةٍ من المعسكر:

- "الآن! لنظهر للعالم من نحن! انطلقوا، فالغزو قد بدأ!"

كان الأمر أشبه بأنفجارٍ مفاجئ، حيث انطلقت القوات الرئيسية كأموجٍ عاتيةٍ تتهاوى فوق الأرض، تسرع خطواتها كأنها جيوش الأبطال الأسطوريين، لا تعرف الرجوع.

تتأثرت الأصوات والأجساد في تناغمٍ محكمٍ؛ الجنود المجهزون بسيوفهم ورماحهم وقفوا في صفوفٍ متماسكةٍ، بينما بدأت وحدات المروحين في اختراق الظلال خلف أسوار المدينة. كانت هناك مشاهدٌ من الحركة الفوضوية المنظمة؛ حيث انطلقت القوافل على طرقٍ ضيقة، كلٌّ منها يقودها قائدٌ يقظ، وكل جنديٍ يحمل بين يديه وعدًا بأن حياته اليوم ستصبح جزءًا من أسطورةٍ لا تُمحي.

في تلك اللحظة، كان زارغوس يراقب المعركة بعينين تلمعان ببرودةٍ محسبةٍ. كان يقف على منصةٍ مرتفعةٍ داخل القلعة المؤقتة للمعسكر، يرتدي رداءه الأسود المطرز بنقوشٍ ذهبيةٍ تشير إلى أصوله العريقة. من فوق تلك المنصة، استطاع أن يرى كل تفصيلةٍ صغيرة، من حركة الأقدام على الأرض الباردة إلى تمايل أعلام الجنود مع نسيم الليل العليل.

مع انطلاق القوات، بدأت أولى موجات الاشتباكات تعصف بحافة المعسكر. اقتحمت وحدات المراوغين بممرات جنود الجنار بخفةٍ قاتلة، بينما بدأت فرقٌ أخرى في كسر حواجز الدفاع بالهجوم المباغت. كان صوت السيوف المتصادمة والصفارات الحادة يملأ المكان، كأن السماء نفسها تصرخ مع كل ضربة تُسجل على الأرض.

زارغوس، الذي لم يتخلَّ عن مركز القيادة، أمر:

- "أطلقوا سهام الظلام! لا ترحموا أحدًا!"

فارتفعت أصوات الجنود، وبدأت سهامهم تتطاير عبر الهواء، تخترق دروع الأعداء وتحدث شقوقًا في صفوفهم. في تلك اللحظة، كان التوتر يصل إلى ذروته؛ كان كل جندي يعيش لحظةً واحدةً من الانتصار المحتوم، بينما كان قلب زارغوس ينبض بوتيرةٍ أسرع من المعتاد، مؤكدًا أن هذه اللحظة هي محوريةٌ في مسار الحرب.

في قلب المعركة، اندمجت أصوات السيوف مع هدير الدروع المتصادمة،
ومع كل لحظةٍ كانت تقطع فيها أنفاس الجنود، كان صوت زارغوس
يتعالى:

- "اليوم، سنُسَطِرُ أسماءنا في كتب التاريخ، وسيدرك العدو أننا لا نقبل
الخنوع!"

كانت كلماته تتخللها القوة والإصرار، تلهب حماس الجنود وتحثهم على
المضي قدماً، رغم الألم والتعب.

على مدى ساعاتٍ طويلةٍ من الاشتباكات الدامية، كان جنود زارغوس
يعيشون معركةً لم تكن مجرد صراع على الأراضي، بل كانت معركة على
الهوية والكرامة. كل جندي كان يحمل في قلبه قصةً عن فقدٍ وعن أملٍ
مكسور، لكن مع كل ضربة سيف وكل صرخة حماس، كانوا ينسجون معاً
لوحةً فنيةً من الشجاعة والتضحية.

في خضم الفوضى، انبثقت لحظاتٌ فريدةٌ تُظهر معاناة الأبطال. كان إحدى
جنود الجنار الشاب الصغير يُدعى "جوليان" ينظر إلى السماء بابتسامة
حزينة، وكأنه يتذكر أيام الطفولة التي قضيتها في اللعب تحت أشجار
الزيتون. همس في نفسه:

- "لن أدع الليل يسرق مني ضوء الأمل."

وكانت عيناه تلمعان بريقاً ينذر بأن الأمل مؤقتٌ، وأن النصر سيأتي رغم كل
الظلمات.

وفي إحدى الزوايا، كان ضابطٌ آخر عند زارغوس، يُدعى "جيمي"، يُراقب صفوف العدو بعنايةٍ فائقة. كان يُدون ملاحظاته على ورقةٍ جلديةٍ قديمة، يخط فيها نقاط الضعف والتحركات التي تُظهر انكسار دفاعات العدو. تحدث مع أحد رفاقه بصوتٍ منخفضٍ:

- "لاحظت أن خط الدفاع المركزي يرتخي عند الفجر، فحينها سنهاجم بكل قوتنا. استعدوا للانتقال في اللحظة المناسبة."

وكانت هذه الهمسات تنقل لهم وعود النصر، وتُشعل في نفوسهم نار العزيمة التي لن تنطفئ.

مع مرور الساعات وتكثف الاشتباكات، بدا أن الزمن نفسه قد توقف ليستمع إلى صرخات الجنود وأصوات الأسلحة. كان كل لحظة تمر كأنها دهرٌ من الألم والبطولة، وكل قطرة دم تنساب كانت تُكتب على صفحات التاريخ كحبرٍ لا يُمحى.

زارغوس، الذي كان يراقب الميدان من على منصة القيادة، أدرك أن اللحظة الحاسمة قد اقتربت. في داخله، كانت عواصفٌ من المشاعر تتصارع؛ بين الرغبة في الانتصار وبين الهموم التي تحيط بمصير أولئك الذين وضعوا أرواحهم على المحك. أخذ نفسًا عميقًا، ثم أعلن بصوتٍ مرتفعٍ يتردد صداه في أرجاء الميدان:

- "استعدوا! سوف ندشن الهجوم الكبير في تلك اللحظة التي ينهار فيها خط دفاع العدو. إنهم لا يعلمون أن الليل ليس إلا ستارًا يُخفي ضوءنا القادم!"

وبينما كانت القوات تتقرب تلك اللحظة، شعلت أنوارٌ خافتةٌ من المصابيح الزيتية، وكأنها نجومٌ صغيرة. كان الجنود يتربصون بقلوبٍ مليئةٍ بالأمل والرعب معًا، مدركين أن كل ثانيةٍ تمر قد تكون آخر ثانيةٍ لهم أو بدايةً لأسطورةٍ تُخلد في ذاكرة الأبد.

في تلك اللحظة المصيرية، اندفعت قوات زارغوس كما لو أن الأرض نفسها تنشق من شدة الحراك. خرجت وحدات المراوغين من العتمة خلف الأسوار، تتحرك بخفةٍ قاتلةٍ كظلٍ لا يُرى، بينما اقتحمت القوات الثقيلة الخطوط الأمامية للعدو كالسيل الجارف. كان الصوت الناتج عن التصادم بين الأسلحة والدروع يشبه هدير البحر في عاصفةٍ عاتيةٍ، يملأ الفضاء بصفارات الموت وصراخ الأرواح.

زارغوس، في وسط الفوضى، كان يقود الهجوم من قلب العاصفة. مع كل ضربة سيف يُوجهها نحو العدو، كان يُعلن بأن هذه اللحظة ستُقلب موازين القوى. كان جنوده ينشدون معه شعارًا صارخًا:

- "بالدم نُحفر مجدنا، وبالنار نُضيء دروبنا!"

وتحت تلك الصرخات الحماسية، اندفعت القوات بكل قوةٍ نحو الأمام، تلتهم الحواجز وتكسر دفاعات العدو كما تكسر الأمواج صخرةً صلبةً.

كان زارغوس يتنقل بين الصفوف، يُشعل الأمل في قلوب من كانوا يراودهم اليأس. في كل لحظةٍ، كان يُلقي بأوامر حاسمةٍ تُعيد ترتيب الخطط وتُحرك الجنود بسلاسةٍ بقدر ما تتطلبه المعركة.

كانت تلك اللحظات الحاسمة تحمل مزيجًا من البسالة والفاجعة؛ حيث انقلبت موازين القوى، وتبددت خطوط العدو تدريجيًا تحت وطأة الهجوم العنيف. ومع كل خطوةٍ كان الجنود يُحرزونها نحو قلب العدو، كان التاريخ يُكتب بحروفٍ من نارٍ ودم،

«مقاومة الظلام – حكاية هيلينا في مواجهة زارغوس»

كانت السماء قد ارتدت عباؤها السوداء، وخلف السحب الثقيلة تكمن نجومٌ باهتة، كأنها تترقب قرب ساعة الفجر التي ستكشف عن وجوه الظلام. وفي تلك الليلة المشؤومة، كانت هيلينا تقف وحيدةً على أسوار معقلها القديم، تشعر بأن الليل يحمل معها رسائل من الأزل، رسائل تحذر من وشيك كارثة لم تُستأنف بعد.

كانت قد سمعت همسات الجنود في المعسكر، تلك الأصوات الخافتة التي كانت تروي أن زارغوس قد بدأ بتشكيل جيوشه المظلمة في القاعات الباردة للمعسكر. وفي أعماق قلبها، كان الأنين يعلو: "لقد حان موعد الظلام، واللييلة لن يكون ملاذ لنا."

في تلك اللحظات، اجتاحت هيلينا فكرةً مؤلمة؛ فكرة أنها يجب أن تقف في وجه هذا الهجوم، رغم علمها بأن قوى العدو لا تُضاهى. كان قلبها المكسور ينبض بصمتٍ عن وعدٍ لم يُكتمل، ووعدٍ بأن تحمل روح نيساليا أملاً رغم كل الدموع.

لم تكن هيلينا تقصد الخضوع. ففي ساعاتٍ مبكرةٍ من ذلك الليل، جمعت أطفال الغابة الذين بقوا مخلصين لفكرة الحرية، محاولةً تجهيز دفاعاتٍ بسيطةٍ في محيط معقلها. كانت تقود حراسها بصوتٍ مثقلٍ بالألم، تقول: - "ألا تعلمون أن كل قطرة دم تُسفك اليوم تُعدُّ عقداً لنصرٍ لا يُضاهى؟ يجب أن نقف أمام زارغوس بكل ما أوتينا من قوة! إن شمس نيساليا لن تنطفئ، وسنرد لهم هذا الظلم مهما كلف الثمن."

كانت كلماتها تملأ الجو بروح من التحدي رغم انكسارها، لكن في قلبها كانت تعرف أن قوة زارغوس المهيبة – المدعومة بسحرٍ مظلم وجيوشٍ لا تعرف الرحمة تفوق ما استطاعوا تصديّه.

في خضم التحضيرات، بدأت تظهر أوائل التجمعات العدائية؛ أصوات خطوات ثقيلة وأدوات حربٍ تُصنع من سحرٍ قديم. وعندما اقتربت أنفاس العدو من جدران المعقل، خيم الذعر قليلاً على قلوب الحراس، لكن هيلينا أمسكت بمقبض سيفها، عازمةً على أن تكون الدرع الأخير الذي سيمنع العدو من اقتحام المكان.

حينما دقت صافرات الزحف لأول مرة، اندفعت موجةً من الجنود المظلمين على أسوار المعقل. وفتت هيلينا في مقدمة الدفاع، عيناها تشعان بريقاً حاداً كالسيوف، تحاول أن تبدد الغيوم السوداء التي تسود حولها.

في تلك اللحظة، اندفعت الأمواج البشرية من زارغوس كأنها عاصفةٌ قاتلة، كل جندي منها يحكي قصةً من الدمار والدماء. حاولت هيلينا بكل ما أوتيت من قوة أن تصد تلك الهجمة؛ رفعت سيفها عالياً، وكأنها تتنادي الأجداد بأن روحها ستظل حارسة للكرامة رغم الخيانة.

صرخت:

- "لن نسمح لأنوار الظلام بأن تخنق ضياء نيساليا! قفوا معي، فكلنا واحدٌ في هذه المعركة!"

لكن كل ضربة كانت تُسجل على جسدها، كان صوت العدو يزداد قسوةً، وسادت موجاتٌ من السيوف والسهام في محيطها. وفي لحظةٍ محورية، انطلقت إحدى ضربات زارغوس الساحقة نحوها؛ ضربةٌ حددت مصيرها، إذ اجتاحتها موجةً من الألم جعلتها تنهار إلى الأرض، بينما كان الجنود يقتحمون أسوار الغابة من كل جانب.

رغم أن هيلينا حاولت بكل ما في وسعها أن تُقيّم درع المعقل، أدركت بسرعةٍ مريرة أن قوى زارغوس كانت تتفوق عليها. تلاشت أصوات مقاومة حراسها تدريجيًا، وتبددت صفوفهم أمام هجومٍ لا هوادة فيه.

في تلك اللحظات الأخيرة للوقوف في وجه العدو، بدأت هيلينا تتلمس خيوط الفشل في كل زاويةٍ من دفاعاتها، وشعرت بأنها ستصبح قريبًا ذرّةً من الغبار تحت وطأة القوة المُدمرة للعدو.

بدموعٍ مختلطةٍ بالألم والغضب، اجتمعت معها بعض النفوس القليلة التي لم تستسلم، وقررت أن الخلاص الوحيد هو الفرار مع تحذير ثيساليا من ذلك الهجوم القادم.

في لحظةٍ مثقلةٍ بالوداع، همست لهؤلاء:

- "اذهبوا الآن، أحمل رسالةً إلى شعبنا: الزحف قد بدأ، وعليكم الاستعداد للمعركة التي ستغير مصيرنا. أخبروا ثيساليا، أخبروا كل من يمكنه أن يصد، فإن الظلام يقترب!"

كان ذلك النداء الأخير الذي خرج من شفيتها قبل أن تترك خلفها الدمار والأنين. بدأت هيلينا تجوب الظلام، راجحةً نفسها بأن تحمل بداخلها بقايا الأمل، متوترةً على كل خطوةٍ تخطوها في رحلة الفداء.

تسللت هيلينا بين أنقاض معقلها، متخفيةً بين الظلال، وهي تتابع خطوات زارغوس وجنوده الذين كانت تتردد أصواتهم في أذنيها كصرخات الموت. في تلك اللحظات، كان قلبها ينبض بثقل الفقد والخيانة، لكنها لم تستسلم؛ كان عليها أن تصل إلى ثيساليا وتحذر شعبها، حتى لو كان الثمن أن تترك خلفها كل ما أمنت به.

رحلت عبر الدروب المظلمة الملتوية، حيث كانت الرياح تعزف ألحان الفراق، وكأنها تودّع كل روحٍ تركت هنا بصمتها. وفي كل محطة، كانت تُسمع أصواتها المكسورة تنادي:

- "أذهبوا يا أهل تيساليا، فالنار قد اشتعلت في قلب العدو، والظلام يتقدم بخطي لا تعرف الرحمة!"

كانت تلك الكلمات تتردد في الأروقة المنسية، تشق طريقها إلى كل من لا يزال يتمسك بذكرى الحرية والكرامة.

وبينما كانت تقترب من حدود تيساليا، شعرها برعبٍ جديد؛ فقد أدركت أن الرسالة التي تحملها ليست مجرد تحذير، بل هي بداية لثورةٍ قد تُعيد للأرض حياةً جديدة. كانت دموعها تنهمر، لكنّها كانت تحمل معها وعدًا بأن النضال لن يُنسى، وأن كل دمعة سُكبت ستكون نبراسًا لمستقبلٍ يستحق أن يُكتب بحروف من نور.

قبل أن تعبر إلى داخل تيساليا، وقفت هيلينا لبضع لحظات أمام معقلها الذي كانت تحاول فيه أن تحمي أمل شعبها. نظرت إلى الجدران المتصدعة، التي كانت تشهد على دماء الحراس وصرخات المقاومة، وذكرت كل تلك الوعود التي قطعتها في أيام مضت.

قالت لنفسها بصوتٍ مرتجف:

- "لقد حاولت أن أكون الدرع الأخير... لكن اليوم، عليّ أن أحمل الرسالة لأنني لا أستطيع أن أحمي هذا المكان وحدي."

كانت تلك الكلمات بمثابة وداعٍ لكل من آمن بأن النضال كان كفيلاً بإيقاف الظلام، ودعوةً لإحياء الأمل في قلوب كل من سيسمعها.

بخطواتٍ مثقلةٍ بالحزن، انطلقت هيلينا نحو الحدود، وتحملت معها كل ذكريات المقاومة وكل الألم الذي مرّت به. كان عليها أن تصل إلى ثيساليا لتحذر شعبها من أن غزو زارغوس قد بدأ بالفعل، وأن الظلام في طريقه ليلتهم كل ما تبقى من الأمل إن لم يستيقظوا.

انطلقت هيلينا في رحلةٍ شاقةٍ عبر الدروب الوعرة، حيث كانت الأمطار تتساقط كدموع السماء، والرياح تعصف بالأشجار كأنها تبكي على مصير الأرض. كانت كل خطوة تخطوها محفوفةً بالمخاطر؛ فقد كانت قوات زارغوس تسيطر على الطرق الرئيسية، لكن هيلينا اختارت دروبًا جانبية مليئةً بالظلال والأسرار.

في تلك اللحظات، كان قلبها ينبض بسرعةٍ كأنها تحاول أن تُعيد معاني الحياة إلى كل ذرةٍ من روحها. ووسط هذا الفوضى، كانت تتذكر كلماتها القديمة مع الحراس، تلك الكلمات التي كانت تُبث في الروح كالشرارة التي لا تنطفئ:

- "إن نسمح للظلام بأن يُطفئ ضياء قلوبنا، فكلنا معًا سنعيد بناء ثيساليا!"

عندما وصلت هيلينا أخيرًا إلى حدود ثيساليا، كان الأفق يغمره نور الفجر الأول، لكن تلك الأنوار لم تكن كافيةً لئُخفي وطأة الدمار الذي خلفه غزو زارغوس. كانت المدينة تنن تحت وطأة الظلام، والناس يترقبون بصمتٍ متوتر أن يقتحم العدو حدودهم.

لم يمض وقتٌ طويل حتى تمكنت هيلينا من إيجاد ملاذٍ صغيرٍ في أحد القرى الحدودية، حيث اجتمع القادة المحليون لتبادل الأخبار والهمسات. ووقفت هيلينا بين الجمع، والدموع تنهمر من عينيها، وهي تحاول أن تشرح لهم:

- "يا أهل نيساليا، لقد بدأ زارغوس غزوه. لقد حاولت أن أصدّه لكن قواه كانت فوق حدودنا، ولا يسعني إلا أن أحذركم؛ فالظلام قادم ليُطفئ نورنا إذا لم نُستعد."

كانت كلماتها تنساب كمرثيةٍ حزينةٍ، تحمل ألم الانكسار، لكنها كانت في الوقت نفسه بمثابة دعوةٍ للوقوف معاً، لاستعادة ما ضاع من كرامة وأمل.

بعد أن استقر أهل القرية على حقيقة ما سمعوه، بدأت تتشكل بين صفوفهم قوةٌ جديدةٌ؛ قوةٌ مستمدة من كلمات هيلينا وحكايات النضال القديمة التي لطالما كانت تُروى في ليالي الشتاء الباردة.

اجتمع القادة وأعلنوا:

- "لن ندع هذا الظلام يُخفي عنا نور نيساليا! سنقاوم، وسنعيد بناء مدينتنا كما كان ينبغي أن تكون؛ مدينتنا التي نُكتب فيها أسماء الشجعان بأحرفٍ من نور."

وكانت تلك اللحظة بمثابة شرارةٍ أضاءت قلوب الناس؛ فقد بدأوا في تجهيز أنفسهم، واستعداداتهم أصبحت شعاعاً للأمل.

وقفت هيلينا وحدها على حافة القرية، تنظر إلى السماء التي بدأت تشرق بأولى خيوط الفجر.

كان وداعها مؤلماً، فقد تركت خلفها معقلها الذي دافعت فيه عن كرامة شعبها، لكنها كانت تعلم أن رسالتها لن تذهب سدى؛

همست بصوتٍ هادئٍ يحمل في طياته وعدًا للأبد:

- "سأعود، يا أهل تيساليا، وسأحمل في قلبي كل ذرةٍ من دمانكم وأحلامكم.
لن يضيع نورنا، فكلما انطفأت شمسنا، سيشرق فجر جديد يحمل وعد
العودة."

وهكذا، مع دموعها التي اختلطت بالندى، بدأت هيلينا رحلتها نحو المستقبل،
حاملةً رسالةً تحذيريةً لكل من لم يُقَمِّ بالاستعداد لظلام قادم، رسالةً ستُخلد
في سجلات التاريخ كصرخةٍ من قلب المقاومة.

«ثيساليا - سكون ما قبل الفوضى»

اجتمع أثوبيا وجود على أحد أسطح القرية المطلة على الأطلال. كانت الليلة هادئة بشكلٍ يخالف طبيعة ما ينتظرهم؛ فقد كان القمر يشع بضوءٍ خافتٍ وكأنه يحاول بث بصيصٍ من الأمل بين ظلمات الفراق. جلس الاثنان في زاويةٍ منعزلة، حيث كان الهواء يحمل رائحة الزيتون القديمة وذكريات زمنٍ مضى.

تحدث أثوبيا بنبرةٍ هادئةٍ، عيناه تتلألأان بمزيج من الحنين والشجاعة:

- "أتذكرين، يا جود، كيف التقينا لأول مرة تحت شجرة الزيتون تلك؟ كنت تضحكين حينما كنتُ أحاول جمع البذور؛ لم يكن لنا أدنى فكرة أن تلك اللحظات ستصبح اليوم من أجمل ذكرياتنا."

ردّت جود بصوتٍ يرتجف بين الفخر والألم:

- "كيف أنسى تلك اللحظة؟ كانت بدايات براءة، حينما كنا نحلم بأن نزرع معًا غابئةً من الأحلام. لكن الآن، ونحن نقف على حافة الدمار، أشعر أن ذاك الحلم بعيد جداً."

توقّف أثوبيا للحظة ونظر إلى السماء:

- "رغم أن الظلام قد حلّ، فإن قلبنا لا يزال ينبض بالذكرى. كل جرح وكل دمعة فينا هي شهادة على قوة ما كنا نحمله من حبّ وعزم. أتعلمين، يا جود، أنني لا أزال أؤمن بأننا سنعيد لثيساليا مجدها، حتى وإن كان الثمن هو كل شيء."

ابتسمت جود رغم الألم، واحتضنت يد أثوبيا:

- "سنظل معاً مهما حدث. لن أترك يدك تفارق يدي، فكل خطوة نخطيها هي وعدٌ بأننا سنبني غداً أفضل، حتى وإن خيمت علينا رائحة الفراق."

في تلك اللحظات العاطفية، امتزج الحنين بالمصير المحتوم؛ فكل من قلبهما كان يعلم أن الأيام القادمة لن تكون سهلة، لكنهما استمداً القوة من بعضهما البعض، متحدين الخوف بقلوبٍ مليئةً بالأمل.

بينما كانت الأحاديث العاطفية تدوب في سكون الليل، وصلت هيلينا إلى أسوار ثيساليا. كانت ترتدي رداءً خفيفاً مبللاً بقطرات الندى، وعيناها مليئتان بالقلق والترقب. لقد هربت من معقلها بعد أن فشلت في صد هجوم زارغوس، وهي تعلم جيداً أن رسالة التحذير هي تتقد الشعب.

اقتربت من بوابة المدينة حيث كان جنود الجنار يحتشدون، وأمامهم كان يقف القائد المتميم بالقوة، الذي استقبلها بنظراتٍ مزيج من الدهشة والخوف. بصوتٍ مكسور لكنه حازم، بدأت هيلينا تخبرهم:

- "أيها الجنود، إن الغزو قد بدأ! زارغوس وجيشه يتقدمون بقوة هائلة لا تُضاهي، وأنتم على وشك مواجهة سيلٍ من الظلام لا يعرف الرحمة. علينا أن نستعد، فهذه ليست مجرد هجمة عابرة، بل هي معركة ستغير مصير ثيساليا إلى الأبد."

كانت كلماتها تتردد مع كل نبضةٍ من قلبها، حاملةً معها عبء الخيانة التي عصفت بمعقلها سابقاً. انتشرت أخبار تحذيرها سريعاً بين صفوف الجنود، وتبادلوا النظرات القلقة فيما بينهم، فهم أن الخطر يحرق من كل جانب.

لم يمض وقت طويل حتى سمح جنود الجنار لهيلينا بدخول المدينة، إذ كانوا بحاجة ماسة إلى معرفة كل التفاصيل قبل مواجهة العدو. وفي ساحة المداخلة عند أسوار ثيساليا، اجتمع الثلاثة؛ هيلينا، التي لا تزال ترتجف من صدمة الفراق والمعركة، وجود وأثوبيا اللذان بدا عليهما مزيجٌ من الحنين والخوف.

تبادل جود مع هيلينا نظراتٍ مليئةً بالأسى، وقالت بنبرة عميقة:

- "هيلينا، كم كنتِ شجاعة حينما حاولتِ صدّهم. لم أتخيل يوماً أن أراكِ تهاجرين من قلب معركتنا، لكنني أعلم أن رسالتكِ ستكون نبراساً لنا جميعاً."

ردّت هيلينا وهي تحاول أن تخفي دموعها:

- "لقد كان عليّ أن أحذركم، يا أحبتي؛ أن الزحف لا ينتظر أحداً. لقد رأيت في أحلامي ما لا يمكن للكلمات أن تصفه؛ خطرٌ يقترب من كل زاوية في ثيساليا. لا يسعني إلا أن أعود إليكم حاملةً هذه الرسالة."

تقدم أثوبيا، الذي كان يحافظ على شموخه رغم كل الجراح، وقال:

- "هيلينا، حضورك اليوم يُحيي فينا روح المقاومة. لنتذكر جميعاً تلك الأيام التي جمعناها في ظل شجرة الزيتون، وكيف كان حبُّنا للنضال سبباً في صمودنا. اليوم، علينا أن نحول خوفنا إلى قوة، وأن نعيد لثيساليا مجدها الذي لا يُقاس إلا بإرادتنا."

كانت تلك اللحظات عاطفية للغاية؛ حواراتٌ مُفعمة بالحب، والحنين لأيام مضت، والقلق من المستقبل الذي يحوم كظلٍ قاتم فوق رؤوسهم. تداخلت الأهات مع الوعود، وكان كل منهم يُدرك أن مصيرهم مشترك وأن الروح التي تربطهم لن تنكسر مهما عصفت بهم عواصف الظلام.

في أعالي قصر ثيساليا، كان الجنار فولكار يستحضر ذكرياتٍ لا تنسى؛ فقد كان ذلك الغزو القديم على المعبد الذي أنهى سلالة حكم كاين وما تبعه من دماء وأحزان محفورة في ذاكرته. جلس فولكار في مجلسه المظلم، ينظر إلى لوحةٍ قديمةٍ تُظهر مشاهد الغزو، حيث كان الجنود يقفون صفاً واحداً في وجه العدو، وحيث كان النصر يبدو بعيداً، لكنه كان درساً لا يُمحى.

بصوتٍ قاسٍ مفعمٍ بالتجارب المريرة، خاطب فولكار جنوده:

- "أيها الجنود، إن اليوم الذي نعيش فيه ليس كباقي الأيام. لقد رأيت في الماضي كيف يمكن للظلام أن يلتهم كل شيءٍ في طريقه، وكيف تُذبح أحلام الشعوب تحت وطأة الخيانة. واليوم، نقف نحن على مفترق طرق؛ علينا أن نتذكر أن كل خطوة نتخذها هي حملٌ من دماء الأجداد. لا نسمح لأحد أن يُعيد لنا ذاك الشقاء القديم."

كانت كلماته تفيض بالحكمة والصرامة، إذ كان فولكار يهيج جنوده نفسياً وعسكرياً لمواجهة الغزو الوشيك. استذكر فولكار مع كل كلمةٍ جرح الماضي؛ كيف دُمّرت معابد الأمل، وكيف سُلّبت حياة الأبرياء في غزواتٍ سابقة. تلك الذكريات جعلته أكثر صلابة، وجعلت من كل توجيهٍ يصدره درساً في القوة والصمود.

وبينما كانت عاصفة الغزو تهبُّ بقوةٍ لا ترحم، أخذ فولكار يوجه تعليماته الأخيرة لجنوده وسكان ثيساليا، وكأنه يُخاطب روح الأمة بأسرها. تجمع الجنود في ساحةٍ قريبة من الأسوار، وعلى منصةٍ مرتفعة، وقف فولكار، الذي كانت عيناه تتألقان بحزمٍ لا يُضاهى.

بصوتٍ مدوٍ، أعلن:

- "أيها الأبطال، لقد آن الأوان لتُعيد كتابة تاريخنا. إننا اليوم نحمل بين أيدينا قوةً لا يمكن لأعدائنا أن تُطفئها. سَنُسلحون بكل ما تملكون من عزمٍ، وسنستخدم كل ذرة من إرادتنا لنصنع جداراً من النور يحمي هذه الأرض.

إلى سكان نيساليا: أنتم شركاؤنا في النضال. لن تدعوا هذا الظلام يُسلب منكم حقوقكم. كل حجرٍ وكل شجرة، كل دمعة سُكبت هنا، سَتُكتب على صفحات مجدنا القادم."

ثم تابع فولكار موجهاً حديثه إلى جود، أثوبيا، وهيلينا:

- "يا جود، يا أثوبيا، يا هيلينا: أنتم نور هذا الشعب. احملوا معكم إرث الحرية، واجعلوا كل ضربة سيف وكل خطوةٍ تخطونها تُذكّر العدو أننا لا ننكسر. سَنُجهزون أسلحتكم، وسَنُعدون صفوفكم. أنتم اليوم هو الدرع الذي سيصون نيساليا من غزو زارغوس، وسيكونون حُماةً أملنا في هذه الليلة المُظلمة."

وفي تلك اللحظة، انطلقت أصوات التصفيق والتهنئات بين الجنود، وأصبح كل واحد منهم كمن يحمل على كتفه عبء المستقبل. كانت تلك التوجيهات الأخيرة بمثابة خاتمةٍ لفصلٍ من المعاناة وبدايةٍ لفصلٍ من المقاومة الخالدة.

الفصل الخامس الرقصة الأخيرة

«الرقصة الأخيرة - معركة الظلال»

كانت السماء تلبس عباءتها السوداء الثقيلة، فيما ترتجف نجومها كأنها دموع الآلهة. في هذه الليلة، كانت ثيساليا على مشارف انقشاع الزمن، مُستعدة لاستقبال معركة لا مثيل لها؛ معركة سينتحد فيها مصير الأمل والذكريات.

في أعماق الغابة، كان أطفال الغابة - أولئك الذين عُرفوا بحكمتهم البريئة، قد رسموا خطة قاتلة. فقد نسجوا شباكاً من ضوء النجوم فوق أسوار المدينة، بينما قامت نساء ثيساليا بحفر خنادق مملوءة بزيت الزيتون المُشتعل؛ تحسباً للدفع الذي قد يعيد للنار قوتها. وكان أثوبيا، قد صنع سهاماً من عظام الحراس السابقين، بينما درب وجود الأطفال على استخدام الخناجر الزجاجية اللامعة.

في ساعة هادئة قبل منتصف الليل، اجتمع أطفال الغابة في مخبأ سري بين أشجار الزيتون القديمة. كانت عيونهم اللامعة تبرق بتلك البراعة المختلفة بحكمة الفطرة، وهم يعملون بتناغمٍ لا مثيل له لصنع الفخاخ.

حكيم الأطفال، بصوتٍ هادئٍ وواثق، قال:

- "علينا أن نُفجر القلب البلوري عند منتصف الليل، حين تكون طاقة الفيرين في أضعف حالاتها. هذه هي بذرتنا التي ستُعيد مصير ثيساليا."

ثم شرعوا في نسج شبكةٍ من ضوء النجوم فوق الأسوار، مستخدمين خيوطاً رفيعة كأنها أنسجة من نور سماوي، ليشكلوا حاجزاً لا يُرى إلا لمن يملك عين الليل. وفي الوقت نفسه، ذهبت نساء المدينة إلى الخنادق التي حفرها مسبقاً، ملأتهن بزيت الزيتون المُشتعل الذي كان ينتشر عبره في الهواء، معلناً بدء معركة النار والظلام.

على جدران المراقبة، وقف أثوبيا مع وجود في غرفة مراقبة صغيرة يطل منها على السور الخارجي. كان الاثنان يعملان على تجهيز أسلحتهم الخاصة؛ فقد قام أثوبيا بتشكيل سهام من عظام الحراس الذين سقطوا في معارك سابقة، سيوفاً لا تنطق إلا بصمتٍ قائم يشهد على تضحيات الماضي. أما جود، فقد حرصت على تدريب الأطفال على استخدام خانجر زجاجية شديدة الدقة، خانجر تتلألأ تحت ضوء القمر كما لو كانت تنقل رسالة من المستقبل.

وبينما كانا يجهزان أسلحتهم، تبادلوا حديثاً عاطفياً مولماً:

- أثوبيا (ممسكاً بيد جود وهو ينظر إليها بجدية): "إذا لم ننجح... أريدك أن تهربي نحو الجبال."

جود (بصوتٍ مفعم بالأمل رغم الألم): "حتى الجبال ستسقط... سنقاتل معاً، أو نموت معاً."

كانت تلك الكلمات بمثابة عهدٍ مقدسٍ بينهما؛ عهدٌ بأن الروح لن تنكسر مهما اشتدّ الدمار.

حين حلَّ منتصف الليل، انطلقت صافرات زارغوس في المعسكر كنداءٍ من أعماق الهاوية. انفتحت الأرض حول نيساليا بصوتٍ مدوي، وكأنها فتحت فمها لأبتلاع كل شيء. وفي تلك اللحظة، ظهر جيش زارغوس كجدارٍ أسود لا يُمكن كسره؛ تجمعت التماثيل الحجرية التي كانت ترتدي أشكالاً مخيفة، وبدأت تتسلق الأسوار كأنها أشباحٌ من عالمٍ آخر، بينما كانت أصوات الكهنة تتعالى، يرشقون كرات نار سوداء من دماء مُجمدة.

زارغوس، قائد الغزو، كان يقود هجومه المباشر على البوابة الرئيسية، بخطواتٍ لا ترحم؛ كل ضربة من سيفه كانت تُحدث صدئاً يعكس وحشية عهوده السابقة في الغزو على معابد الحكم القديم. في تلك اللحظة، كان صوته عالياً كصرخةٍ من الموت:

- "اليوم، سنُسحق كل من يقف في طريقنا! لا مجال للرحمة، فالظلام سيغمر هذه الأرض!"

بدأت المعركة تتأجج بسرعٍ مذهلة؛ حيث اندفعت قوات زارغوس نحو البوابة الرئيسية، بينما كانت جنود الجنار يحاولون صد الهجوم بكل ما أوتوا من قوة. في الوقت الذي كان فيه زارغوس يقود هجومه بقوة لا تُضاهي، انطلقت أصوات الأوامر والصيحات بين صفوف المدافعين.

على السور، قفزت جود بكل شجاعة من فوق الحائط، تخترق صفوف الكهنة بخنجرها الأسود المتوهج. كانت ضرباتها سريعة وحاسمة، تُحدث شقوقاً في صفوف الأعداء وتُشعل في قلوب الحراس رغبةً في البقاء رغم الخطر الداهم. في الوقت نفسه، كان أثوبيا من برج المراقبة يُطلق سهامه المصنوعة من عظام الحراس، ليحطم حواجز العدو ويُحدث اضطراباً في صفوفه.

لم يكن الغزو مجرد مواجهة فردية، بل كان مسرحاً لتداخل عدة خطط واستراتيجيات. فقد كان جيش زارغوس متكاملًا؛ من الكهنة الذين كانوا يرشقون كرات النار السوداء من دماء مُجمدة، إلى الجنود الذين كانوا يشقون طريقهم كجدارٍ أسود لا يُمكن اختراقه. وفي الوقت ذاته، كانت قوات فولكار تتصرف بحكمة قتال، مستعينةً بخطط أطفال الغابة التي نسجت شبكات الضوء، وبالخدائق المشتعلة التي حُفرت بعناية من قبل نساء المدينة.

بينما كان جنود زارغوس يقتحمون البوابة الرئيسية، كانت كاهنة زارغوس "ماريلا" تتسلل عبر الأنفاق السرية تحت الأرض، محاولةً أن تُحدث شقاً في دفاع العدو من الداخل. كان هذا التحرك بمثابة ضربة مفاجئة، تُشوش على صفوف الأعداء وتُحدث ارتباكاً كبيراً في تنظيمهم.

وفي الوقت نفسه، كان صوت خناجر جود وهي تخترق صفوف الكهنة يُذكر الجميع بأن المقاومة لا تزال قائمة، وأن كل ضربة سيف وكل سهم يُطلق هو نداءً من أجل الحرية.

حينما بلغ التوتر ذروته، حدثت لحظةً غريبةً حينما انفتحت الأرض حول نيساليا بصوتٍ مدوّ كأنها فجوةٌ من عالمٍ آخر. خرج منها جيش زارغوس كاملاً، كالظلال السوداء التي تعلوها صفوفٌ من الحراس المتحجرين، والتصفيق المُرّ للكهنة الذين كانوا يرمون كرات النار السوداء. كان المشهد مهيباً ومروعاً في آنٍ واحد؛ حيث اجتمع كل ما هو قائم ليتحول إلى قوةٍ مُدمرة لا يمكن الوقوف في وجهها.

أصبحت الأسوار مسرحاً لركامٍ من التماثيل الحجرية التي بدأت تتسلق الجدران، كما لو أن الموت نفسه قرر أن يُعيد توزيع الأرواح في هيئةٍ جديدةٍ. وفي تلك اللحظة، بلغ صوت صافرات المعركة ذروته، إذ اندفعت القوات كالسيل العاتي، تهاجم بوابة المدينة بكل ما فيها من قوة.

زارغوس، على رأس قواته، كان يقود الهجوم بسيفٍ يلمع بنور الظلام، وهو يصرخ بأوامره:

- "الآن يا أبطال الظلام! لا مكان للرحمة؛ فلتسحقوا كل من يقف في طريقنا! لن ترحموا هنا، ولن يرحمكم أحد!"

كانت كلماته تتردد كجرسٍ يُنذر الأعداء بمصير محتوم، فيما كانت صفوف جنود العدو تتزعزع تحت وطأة الهجوم المُنظَّم.

بدأت المعركة تتحول إلى فوضى مطلقاً؛ إذ اندفعت السيوف والسهام في كل اتجاه. في ساحة المعركة، كانت الأصوات تختلط مع ضجيج الرياح، وصيحات الجنود تتعالى مع كل ضربة تُسجل على الدروع.

على أسوار المدينة، كانت جود تقفز من فوق الجدران بخفةٍ بدیعة، تخرق صفوف الكهنة بخنجرها الأسود الذي كان يُحدث موجاتٍ من الرعب في صفوف العدو. وفي نفس الوقت، كان أثوبيا يُطلق سهامه المصنوعة من عظام الحراس، وهي تتطاير في السماء كما لو كانت نجومًا تسقط واحدة تلو الأخرى.

تداخلت أصوات اتهامات الجنود مع صرخات الفوضى، حتى أصبح كل جندي يشعر وكأن قلبه ينبض بوقع التاريخ. وفي تلك اللحظة، كانت الخطة التي تُسجت منذ ساعاتٍ، بخيوط الضوء والنار، تُظهر مدى براعتها؛ فقد بدأت شباك ضوء النجوم التي نسجها أطفال الغابة بالتألق فوق الأسوار، حاملةً معها وعود الانتقام، بينما بدأت خنادق زيت الزيتون المشتعل في إحراق أعداء المدينة الذين حاولوا اقتحام الدفاعات.

وسط هذا الدمار المُتسارع، تقدّم زارغوس بخطواتٍ ثقيلة نحو البوابة الرئيسية، متوجّهاً بقوةٍ لا تُضاهى. في تلك اللحظة، تسللت ماري عبر الأنفاق السرية، محاولةً أن تخلق فتحة في دفاعات العدو من الداخل، بينما كان زارغوس يُشعل النار في صفوف المعركة بكلماته الحادة وأوامره الثائرة.

كانت الجدران تهتز تحت وقع الهجوم، وكانت الأرض تنشق لتبتلع كل من يقف في طريق الظلام. في تلك اللحظة، استطاع زارغوس أن يحدث ضربةً مفاجئة؛ فقد اندفع نحو هيلينا التي كانت تحاول بكل ما أوتيت من قوة تدمير الصافرة السوداء – تلك الأداة السحرية التي كانت تُحرك التماثيل – ولكنه لم يندم على ضربةٍ واحدة، إذ طعنها من الخلف بخنجر مسموم.

سقطت هيلينا على ركبتيها، صرخت بأخر أنفاسها:

- "اقتلوني الآن... انفجري سيدتي!"

كان صوتها كنداءٍ من الأعماق، يعلو فوق زئير المعركة، معلناً سقوط أول درع يحمي ثيساليا وتحول جسدها إلى ترابٍ متطايرٍ ليختلط مع غابة الزيتون.

وفي خضمّ هذه الفوضى التكتيكية، اجتمعت كل قوى المقاومة لتقديم عرضٍ منسّقٍ للتصدي للعدو، حيث كان لكل فرد دوره الحيوي؛ فالأصوات تتردد في كل زاوية، والهمسات تُشكل وعدًا بأن النضال سيستمر مهما احترق الأمل.

وسط هذا المشهد المهيّب، استعدت القوات الخاصة لشن الضربة القاضية. سُمح لأثوبيا وجود بالتجمع في نقطةٍ استراتيجية على قمة برج المراقبة، حيث كانت تُراقب ساحة المعركة بكل تفاصيلها. وبينما كان أثوبيا يُطلق سهامه من أعلى، وتنهض جود من فوق السور لتخترق صفوف الكهنة، كان صوت صافرات المعركة يرتفع ليبلغ قمة الهاوية.

في تلك اللحظة، اندفع زارغوس في هجومٍ مباشرٍ على البوابة الرئيسية، بينما كانت ماري تتسلل عبر الأنفاق السرية لتنفيذ مهمتها الخاصة. وكانت الكهنة يرشقون كرات نارٍ سوداءٍ من دماءٍ مُجمدة، تحوم في الهواء كأنها شظايا من لعنةٍ لا تُطفأ.

بدأت المعركة تتحول إلى رقصةٍ دموية، رقصةٍ لا تعرف سوى الألم والغضب؛ حيث كان كل ضربة تُسجل على الأرض تُحدث شقوقًا في الزمن، وكل صرخةٍ تنطلق تُعلن أن الموت لا يزال قريبًا.

في خضمّ زوبعة الدمار التي اجتاحت ساحة المعركة، ارتسمت مواجهة لا تُنسى بين زارغوس والجلنار فولكار؛ خصمان من عصور مضت، كلٌ منهما يجسد قسوة الليل وشراسة الغدر. كانت الأضواء الخافتة تتراقص على دروعهما المتلألئة، بينما كان صوت السيوف يتعالى كالنداء الأخير لروحٍ مُحترمة.

انطلق زارغوس بخفي واثقة، عيونه تحرقها شرارات الحقد، وسيفه يُشيع نورًا قاتمًا في عتمة الليل. وفي المقابل، وقف فولكار، حاملاً إرث المعارك القديمة في كل ضربةٍ من ضرباته، مستحضراً ذكريات غزو المعبد الذي أودى بسلاواتٍ ودماء نُسجت عبر الزمن.

تلاقت ضربةً بعد ضربةٍ في معركةٍ ملحمة، تتراقص فيها السيوف مع نيران الغضب، حتى وصلت الأمور إلى ذروتها حين أطلق فولكار هجومًا لا يُرحم. بخطوةٍ حاسمة، زاحمًا بين الفوضى المتلاحمة، غرس فولكار سيفه في وسط عين زارغوس؛ كان السيف كرمزٍ للثأر والعزيمة، يخرج من خلف رأسه في مشهدٍ مفرعٍ كأن الزمن توقف ليستشهد على شجاعة هذا الضربة القاتلة.

وبعد تلك اللحظة المذهلة، انهار زارغوس على الأرض وسط صفوف عدوّه، في حين كان فولكار، مثقلًا بتعب المعركة والألام التي خلدت على جسده، ينهك؛ إذ سقط على الأرض مع صوتٍ خافتٍ من الإرهاق، وركبتيه تتمايلان كأنهما لا تملكانا سوى النظر إلى السماء.

في تلك اللحظة، بدا أن كل من جنود زارغوس والجلنار فولكار قد ذابوا في دوامة الدمار، واختلطت دماؤهم مع تراب المعركة، ليظل القتال شاهدًا على شجاعة لا تموت، حتى وإن كان الثمن هو فقدان كل شيء.

«دموع الآلهة»

كانت السماء تمطر دموعًا سوداء، في قلب هذا الدمار، وقف أثوبيا متعثرًا على الأرض؛ جسده الذي كان يومًا رمزًا للنضال أصبح الآن مثقلًا بالأم لا تُحتمل. كان أثوبيا قد تلقى طعنة قاتلة، وجرحه كان ينزف دماءً سوداء كما لو أن الليل نفسه ابتلعها. بينما كانت جود، التي لم تزل تحمل هموم النضال في عينيها، تسحب جسد أثوبيا نحو شجرة الزيتون الأخيرة – الشجرة التي كانت شاهدًا على سنواتٍ من الفداء – بدأت اللحظات الأخيرة تتشكل.

بعد انتهاء العاصفة الدموية، ومع انخفاض صوت المعركة، بدأت مشاهد الحزن تتسرب إلى قلب نيساليا. في أعقاب الجرح العميق الذي أصاب أثوبيا، وجد هو وجود أنفسهما يسعيان وسط أنقاض المعركة نحو ملاذ قديم.

بخطى متعثرة، زحفت جود وأثوبيا عبر حطام الطرق، تُرافقهما دموعُ الألم التي لم تستطع الكلمات أن تُعبّر عنها. كان أثوبيا، رغم إصابته الفادحة، يُمسك بيد جود وكأنهما معًا يحتفظان بآخر بريقٍ من الأمل. في تلك اللحظة، تذكرت جود ضحكاتهما الطفولية، حين كان الاثنان يركضان تحت ظل الزيتون، ويزرعان بذورَ غابةٍ سرية.

ولكن اليوم، كانت تلك البذور قد دُبحت مع الرياح؛ فقد تحول الحلم الطفولي إلى ذكرى مرّة لا تُنسى. مع كل خطوة، كان جسد أثوبيا يهتز من الألم، وبدأت قوى الحياة تفرغ منه شيئًا فشيئًا.

وصل الاثنان أخيراً إلى شجرة زيتون عتيقة، يقف تحتها تاريخُ أجيالٍ من النضال. جثتُ متفرقة وندوبٌ لا تُمحي كانت تروي قصة معركةٍ انتهت بنهايةٍ مأساوية. هناك، تهاوت أجسادهما معاً، كما لو أن الأرض تحتضنهما برقةٍ توَدَعهما إلى عالمٍ لا يعود منه أحد.

وفي لحظةٍ محطمةٍ، سقط أثوبيا؛ فقد لم يستطع مقاومة الطعنة القاتلة التي غرست في قلبه، فانهار جسده بين جذور الشجرة، فيما سُحب صوته الهادئ إلى صمتٍ أبدي.

لم يمر وقتٌ طويلٌ قبل أن تتحدر جود على جسد أثوبيا المُتلاشي، تنتشبت به كأنها لا تريد فراقه، وترفع همساتها الأخيرة في محاولةٍ يائسةٍ لإحياء ذكرى ذلك الحب الذي جمعهما:

- "أنا لا أريد الذاكرة... أريدك يا أثوبيا!"

نظر أثوبيا إلى السماء، وبتلك النظرة التي حملت مزيجًا من الندم والأمل، همس:

- "انظري... النجوم تبكي."

في تلك اللحظة، لم يستطع أحدٌ أن يخفي الألم، إذ كانت دموع جود تختلط بدماء أثوبيا، وتنساب كأنها تُخصَّب الأرض برغم دمارها. حاولت جود أن تحتضن جسد أثوبيا وهي ترتجف، لكن جسده بدأ يفقد وميضه، حتى انطفأ نور عينيه، تاركًا خلفه فراغًا مُرًا.

تحت ضوء القمر المنشق، بدأت الأمطار السوداء تهطل بغزارة، وكان الأرض ترفض حمل عبء الذكريات والألام. كان ذلك وداعًا صامتًا لكل من قاتلوا وحاربوا، لكل من سكب دماؤهم على أرضٍ لم تعد تعرف الحياة.

في زمنٍ بعيد، كان هناك لقاءً تحت شجرة الزيتون، حيث كان أثوبيا (في العاشرة من عمره) وجود (في التاسعة) يهربان معًا من صفوف الكهنة، يحملان في أيديهما حفنةً من البذور المسروقة. كان ذلك اليوم مشحونًا ببراءة الطفولة وأحلام الغد:

- أثوبيا (بحماسٍ جادٍ وهو يرمي البذور في حفرةٍ صغيرة): "هنا... سنزرع غابةً سرية. سنختبئ فيها إذا جاء الغزو."

جود (تضحك ببراءة وهي تدفن البذور بقدمها الصغيرة): "لكن البذور تحتاج سنوات لتنمو!"

أثوبيا (ينظر إليها بعينيه اللامعتين): "سننتظر... سنكبر معها."

كانت تلك اللحظات، بكل بساطتها، بمثابة وعدٍ بالمستقبل، وعدٌ بأن الذكريات – حتى وإن عُمرت بالدماء – ستظل تحمل الأمل. ذلك اللقاء الذي ظل محفورًا في قلوبهما كان بمثابة نواة للثورة التي كانت ستنبثق فيما بعد.

عاد الحاضر ليقابل الحنين والوجع، حيث لم تسقط السماء دموعها في تلك اللحظة الأخيرة؛ بل كانت الدموع تنهمر من قلوب البشر. وقف أثوبيا، وهو يحاول أن ينهض رغم الألم، ينظر إلى جود التي تحمل قطعةً من سيفها المكسور، الذي كان يلمع تحت ضوء القمر الرمادي.

- أثوبيا (يتشبث بأنفاسه الأخيرة، صوته ضعيف): "هل... تذكرين
البيزور؟"

جود (بصوتٍ يرتجف وهي تنظر إليه): "نمت... لكن الغابة احترقت
اليوم."

تألم أثوبيا وهو يحاول الجلوس، لكن جسده لم يستطع مقاومة الضعف؛ قال
وهو يهمس:

- "لا... الغابة... في داخلك. اقطعها... اقطع كل شيء إلا ذاكرتنا."

حينها، التفتت جود إليه، وضغطت على يده بشدة، عيناها تملؤها دموعٌ
مختلطة بالألم: "أنا لا أريد الذاكرة... أريدك!"

وبينما حاول أثوبيا أن يمد يده لتلمس معصمه الأزرق المنقوش، تحدث
بصوتٍ هاديٍ لكن حزين: "هنا... كل ما تبقى من ثيساليا. ابحثي عن..."
ثم ساد الصمت، وكانت عيناها تتسعان كبحرٍ جف فجأة، وسقطت يداها
كأوراقٍ خريفٍ تذبل مع الرياح.

في تلك اللحظة التي خيم فيها الصمت على المكان، انطلقت ريحٌ باردة تحمل رائحة زيتون طازج. ظهرت هيلينا كشبحٍ شفافٍ، جذورها الذابضة تلمس كتف جود برفقٍ لا يُصدق. بعيونٍ مليئةٍ بحزنٍ عميق، همست هيلينا:

- "القلب البلوري... لم يُحطم. لقد تحوّل إلى..."

لكن جود، الذي امتلأت روحها بالغضب والحنين، قاطعتها بلهجةٍ مُدْمرة: "انصرفي! كل شيء انتهى... حتى كلماتك!"

ومع ذلك، لم تنزل هيلينا تحاول بث روحٍ أخيرة، إذ لمست جبين أثوبيا، منبعثةً منه نورًا خافتًا، لتهمس: "انظري... الذكريات لا تموت. هي سُنُعيده."

توقفت كلماتها عند تلك اللحظة، فيما اندهش جود، قائلاً: "كيف؟" وفي لحظةٍ أخيرة، تبخرت هيلينا تدريجيًا، فائلةً بصوتٍ خافت: "ابحثي عن... البذرة." ثم تلاشى صوتها مع الريح، مخلفًا وراءه صدىً من ألمٍ لا يُنسى.

مع بزوغ الفجر، أصبحت نيساليا أطلالًا غارقةً في غبار النجوم. في ساحةٍ متداعية تحت جذع الشجرة المنسية، جلست جود، التي ما زالت تحمل خنجر أثوبيا المُكسور، تنحت رمز نيساليا بحروفٍ من دموعها وآلامها. كان الأطفال – أو ما تبقى منهم – يظهرون كأشباحٍ هامسة، ينقلون رسالةً بأن الحرب لم تنته، وأن المعركة قد تُخلدها الذاكرة.

بينما كانت جود تتأمل العمل الذي أنجزته بيديها، كان صوت الرياح يحمل معاني وعدٍ أن النضال سيستمر رغم الدمار. انطلقت ترنيمة قديمة تُردها أصوات أطفال الغابة:

- "مَنْ يزرعُ الظلَّ في أرضِ الدماء... سيحصدُ فجرًا مِنْ عظامِ الشهداء."

أغمضت جود عينيها، ممسكةً بتلك البذرة الأخيرة، وقالت: "سننتظر... وسنكبر معها." بدأت السماء تُنثر أمطارًا دموعها هذه المرة بلونٍ ذهبي، وكأنها تُعيد الحياة إلى أرضٍ لم تعد تعرف سوى الدمار.

وفي تلك اللحظة الأخيرة، وبينما انقضى الليل وتحول الفجر إلى وعدٍ جديد، اجتمعت الأرواح على الشجرة المنسية؛ حيث رسمت جود رمز ثيساليا على جذعها، وكان النداء الأخير ينبعث كصدي خالدٍ في الأفق:

- "لن ننسى أبدًا؛ لأن في كل دمعة، وفي كل جرح، تنبت بذرة حياة جديدة."

على حافة الدمار، تجثو جود على ركبتيها في بحرٍ من الرماد، وتتمايل يداها المرتعشتان حول جسد أثوبيا الذي تشفقت سواعده بخطوط زرقاء كأنه نهزٌ يبحث عن مصبه الأخير. كان الدم الزيتوني من جرح أثوبيا القاتل ينساب تحت أصابعها، يُلون التراب كأنها دموع الشجرة المنسية التي طالما شهدت معارك الحرية.

في السماء، كان القمر المنشق يُلقي ضوءاً رمادياً باهتاً على وجه أثوبيا الشاحب، بينما كانت نيران المعبد تتهاوى في الأفق كنجوم مَيّتة. ومع كل هبة من الرياح الحارقة، كانت جود تسمع صدى كلماتٍ محفورة في قلبها:

- "لا... لا تضحك هكذا. أنت دائماً تضحك في اللحظات الخاطئة."

كان صوت أثوبيا يحاول أن ينهض، وهو يهمس: "لأنني... أخشى أن أصرخ. الضحك أسهل..."

ثم حلَّ صمتٌ قصيرٌ، مع عبور ريح تحمل رائحة جثث الحراس المحترقة، بينما كانت جود تضغط على جرح أثوبيا وكأنها تُحاول إعادة الزمن إلى الوراء.

وفي لحظةٍ مؤلمة، تهمس جود بمرارة:

- "وعدتني! قلتُ إننا سنزرع زهوراً على أسوار ثيساليا... زهوراً ذهبية كتلك التي في ذاكرتك!" ابتسم أثوبيا بمرارة، والدم الأسود ينساب من زاوية فمه:

- "الزهور... تحتاج لتربة جديدة. وهذه الأرض... ماتت."

ومع مرور الثواني، وبمرور الألام التي لا تُحتمل، انطفأ نور عينيه، وسقطت جود إلى الأرض جنباً إلى جنب مع جسده الباكي. كان المشهد مؤلماً بشكل لا يوصف؛ حيث تمازجت دموعها مع دماء أثوبيا، وتداخلت رائحة الزيتون المحترق مع أنين الرياح التي تمر من بين الأغصان.

كانت تلك اللحظة الأخيرة، حين وقف الزمان على حافة الدموع، لتختم قصة عاشها اثنان من القلوب التي تحدث الموت.

وفي صمتٍ يملأ الأفق، سُمع صدى كلمة واحدة، كأنها نداء من أعماق الروح: "سننتظر... وسنكبر معها."

وهكذا، وسط بقايا الأشجار وشظايا الذكريات، اختتمت حياة جود وأثوبيا، ليظل وقعهما في نيساليا ذكرى مؤلمة ولكنها باقية كرمزٍ للنضال، حبٍ وإخلاص لا يموت.

النهاية ...